خطوة على طريق النشر

كتاب قنّاص

eBooK

خطوة على طريق النشر

الكتاب: خطوة على طريق النشر

جميع الحقوق محفوظة لمنصّة قنّاص الثقافية

2024

منصّة قنّاص: كتب رقمية

info@qannaass.com

advertise@qannaass.com

twitter.com/QannassMagazine

facebook.com/QannassMagazine

instagram.com/qannaasss.magazine

التصميم الرقمي والتنسيق والتنضيد: عماد الدين موسى

تصميم الغلاف والتحرير: زاهر السالمي

شركة مِداد للصحافة والنشر والاعلان والتسويق

مسقط، سلطنة عُمان

الرئيس التنفيذي، الناشر، والمحرر المسؤول: زاهر السالمي

يبقى للكتابِ الأوّل وقعٌ خاص لدى الكُتّاب، كونه الخطوة الأولى في عالم النشر، ذاك المليء بالصعوبات، وتحديداً في العالم العربي.

عن حيثيات الدخول إلى عالم النشر تنشر مجلة قناص هذا الكتاب الإلكتروني، حيثُ يتضمن شهادات مجموعة من الكُتاب العرب من أبرز البلدان العربيّة.

الفهرس

- عزيزة الطائي.....7
- محمود شقير.....13
- محمد شويحنة.....16
- سعيد خطيبي.....19
- سماح ممدوح حسن.....22
- عزالدين بوركة.....24
- محمد الحديني.....26
- هشام بن الشاوي.....28
- عبد الله مكسور.....31
- عيسى الشيخ حسن.....33
- محمود الرحبي.....36
- سوسن جميل حسن.....38
- عبد الرزاق الربيعي.....40
- عبد اللطيف الوراري.....45
- هيفاء بيطار.....47
- علي جعفر العلاق.....50
- شريف ضالح.....54

***

د. عزيزة الطائي*

في البدء.. وقبل عملية الكتابة عن الكتابة، تتوارد الأسئلة أمام المشهد الثقافي الذي يتوجب عليه احتضان القلم، ودعم الفكرة بروح موضوعية بعيدة عن التعصب، والجاهلية.

لماذا تبتر أصابع الزهر؟! ولماذا أنتَ (أيّها الكاتب) سعيد بوحدتك؟

ولماذا يتقمص الناشر دور التاجر؟ ولماذا تمارس المؤسسة دور الرقيب؟

***

تأتي الكتابة على غير ميعاد، تأتي كطيف يداعب روح الكاتب لتنشرح سريرته، وتنطلق أفكاره ورؤاه التي كانت تلاحقه صوب الفضاء اللامتناهي، متحررا بذهنه ليرفرف بكلماته ناثرا الورد والزهر إلى فضاء العالم الحيّ بكل ما تحمله الذاكرة من بهجة وشجن. تأتي الكتابة كهاجس يمنح صاحبها تجاوز ملهمات الروح بما تطويه من سكون وألم من أجل استمرار الحياة، وتوقد رؤيتها من زوايا أخرى أكثر بهاء وجمالا، سعة ورحابة. تأتي الكتابة محملة بالحرف والكلمات والجمل لتسافر بنا إلى فضاءات تسكننا بين الإنس والجن/ بين الواقعي والمتخيل/ بين الفنتازي والأسطوري؛ حيث تفاصيل الأرض وسحاب السماء لتفتح باب السؤال عن الأمكنة التي لا يعبرها الضوء، ولا تحدها الأزمنة، ولا تضيق بها الأمكنة التي تكمن وراءها التجربة الفاعلة المثقلة بالشجن والطرب في آن. تأتي

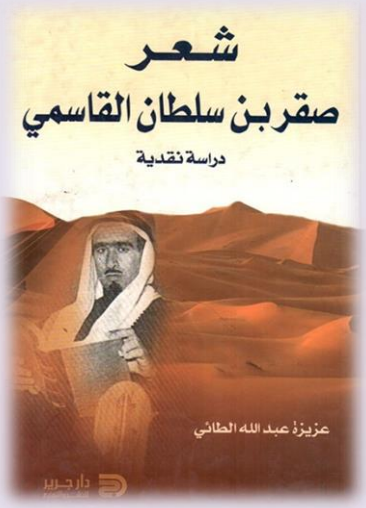

الكتابة لتكون انغماسا في لحظة تأزم الذات مع المحيط، وتأسيس وجودها مع العالم الآخر عبر مسافات شاسعة لحضور أرق الهامش، وكسر جدار التابوهات، واستنطاق صمت المسكوت عنه لتخرج الأفكار والرؤى والكلمات بكل شفافية وصدق.

تحضر الفكرة بقوة، وتتسل بعفوية في عناق حميمي مع الحبر والورق، فتتجلى صيرورة الذات الكاتبة؛ لتفتح قوسا بينها وبين المخزون والمغمور في عتمة السلم والحرب بما تحمله من تصريح وتأويل مع تعاقب الليل والنهار على كنه الكون، وحدود وجودها، وعن تأزم الذات وتصالحها مع البشرية جمعاء، وعن الإنسان وسعيه إلى التغلب على الألم، وبحثه في الفراغ المجوف عن الحلم ليقتنص مزيدا من أمنية العمر لأجل سمو الحب، وعدالة الرّب حتى تتوارد الأفكار التي تنم عن تجربة عميقة للحياة، ونظرة سابرة للكون. وقد ترتسم تقاسيم وجه الكاتب في كومة من الثلج حتى يذوب الدمع على ضفاف حرائق مدن الغياب، وعذابات القبر.

إنها الكتابة تغتال الروح والذهن معا بفعل بين رصاصة في القلب وخنجر في العقل. الكتابة التي ترفرف حروفا فتجول كلماتها بالذاكرة حتى تتوارد عناقيد الروح متدلية بأرواح البشر. فيغدو صدى الجُمَل الصاخبة يعبق بسراب عبارات الغيم بين الجدب والمطر مصافحة كل البشر. وعندما تهدل حمامات الروح بالسلام في مرايا الظلام ناظرة لصباح توقظ النيام على مدى السفح حتى لا تخالفهم الريح فيتراسل الحبر ليوقظ الحواس، حتى تهطل الكلمات كرذاذ المطر لتخصب صمت الورق، فتؤول خطوط الورقة إلى أغصان رانية بالأمل.

هكذا تغدو الكتابة منسابة على هام البشر، متكئة على رحم الأرض؛ كي تنير الكون على حبل مشنقة تائهة بين الكاتب والناشر ليلونها المتلقي بوعي، أو دون وعي بين سراب

وماء على تيماء بياضها لا يعرف مواويل العشاق في ليلة قمرية حالمة بالعشق، وتعزفها رائحة الثمر بين ظلال الشجر فهنالك ليل يولج النهار، وهناك نجمة تغازل القمر. فيمر الصباح ناثرا أشعته لتنير أوراق الحبر الذي كتب بالدم.

هكذا تعجن كتابة القلب والروح بين الحبر والورق لتتناسل الحكايات في القص، أو تغرد الأغنيات بالشعر، أو تشرق الأسطر برؤى الفكر. فأين الكاتب/ الإنسان عنها عندما يفكر أن يطويها بين دفتي كتاب لترى النور بعد أن تزهر الكلمات نابضة بحب الحياة، وتصدح بروعة الفكر؛ والأهم دعمه وتشجيعه وتذليل الصعاب له جزاء كل ذلك الجهد والعناء الذي تتكبل بهما نفسه. أمام تلك الإشكالات كلها نقف أمام تساؤل كبير أين جهود الكاتب؟ وما حقوقه؟! وما أبرز التحديات التي يواجهها؟ لتأتي الإجابة لا شيء له. فيتناسى الكاتب مجبرا ، وقد يحبط، أو يعتزل أمام أزمة النشر والناشرين وفوضاهما في الوطن العربي المسكون بسهام الوجع.

ولأني أزعم أني كاتبة أصدرت حتى الآن اثني عشر كتابا، كل عنوان فيها متنوع في اتجاهاته وموضوعاته بين (الدراسات الأدبية، والنصوص السردية، وقصيدة النثر) مررت بعدة عقود للنشر، وكلها –لها ما لها وعليها ما عليها–. فأنا لم أستلم منها عائدا ربحيا عند البيع، أو معرفيا مؤكدا بعدد النسخ المطبوعة. وربما هذه أكبر إشكالية يتلقاها الكاتب مقابل جهده لسنوات قضاها في إعداد كتابه، وتنضيده ليرى النور، وينتفع به المتلقي، ويجد الباحث فيه تربة للدرس؛ ناهيك عن اختلاف جودة الطبعات، وحقيقة الكمية المتبقية من الطبعة الأولى؛ لتبقى هذه الطبعة الأولى ملكية للناشر ووشم نهائي لعدم رواج موضوع الكتاب أو قبوله أو استحسانه، أو الإقبال عليه من القراء. حتى تهيمن المصلحة النفعية، وتتصاعد روح الصراع بين قطبين هما (الكاتب والناشر) وبينهما ثالث وهو (القارئ) لتكون هذه الأقانيم الثلاثة حلبة الدفع للـ(الكتاب) الذي يبقى حبيسا بين أرفف الناشر والكاتب.

وإذا سلمنا أن الإصدار بمثابة ميلاد وليد جديد يأتي بفرحة غامرة للكاتب، مهما كان ترتيبه بين أخوته عندما يرى جهده وتعبه طيلة سنوات قضاها داخل صومعة الكتابة؛

متصالحا مع ذاته لتخرج أفكاره التي طالما أرقته ولاحقته في السر والعلن متحررا من عبء الزمن، متجاوزا حدود المكان؛ ليجد حرف روحه يتهادى من حبر أوراقه الذي بقي حبيسا في عتمة الوجود حتى ظهر إلى النور بعد معاناة ورحلة شاقة متناسيا كل العبقات والعراقيل، والمبلغ المادي الذي دفعه لدار النشر؛ ليصطدم –أحيانا– برائحة الحبر الرديء من رداءة الطباعة أو التغليف، أو الإخراج.

ومع مرور الوقت يفقد الكاتب شفافية العلاقة بينه وبين الناشر، بل بينه وبين المشهد التسويقي، وتتحول تلك العلاقة التبادلية إلى علاقة ربحية تخلو من الثقة والتفاهم والانسجام. فيجد الكاتب نفسه محاصرا، مهمشا، حزينا لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية. فأما الذاتية فهو إحساسه بالغبن المادي والاستغلال التسويقي؛ بينما الموضوعية حين يرى كتابه بين مجموعة من الصناديق المحشوة عليه أن يتكفل –هو– بكافة الأدوار للتعريف بكتابه وأهميته، وتجربته الجديدة التي تتراكم سنة وراء أخرى. ومع ظهور قنوات التواصل الاجتماعي تجلى أمر آخر، فقد أصبح الكاتب هو من يقوم بعملية التسويق والتعريف بكتابه، وتزاحمت على المتابعين مصداقية عمق الكتاب، وجمال طرحه، وتقنية أسلوبه؛ الأمر الذي أضاف إشكالية أخرى، وتحدٍ آخر قوامه الثقة بين الكاتب والمتلقي من جهة، وبين الكتاب وأصالة دار النشر من جهة أخرى.

ولعل أبرز ما يمكن الحديث عنه حول طبيعة هذه العلاقة، خاصة بين الكاتب العربي ودور النشر العربية تتجلى في أربعة علاقات:

أولها، علاقة خفية بينهما وسيط، تبني المؤسسة الثقافية الإصدار، التي بدورها تتعاقد مع دار النشر. وهنا يمنح الكاتب حقه المعنوي والمادي (عدد النسخ، وربما هناك مبلغ مادي) وفي هذه الحالة يبتعد الكاتب عن مواجهة الناشر، ولا يستطيع محاسبته بأي شكل من الأشكال.

ثانيها، علاقة واضحة، يتعاقد الكاتب مباشرة مع الناشر مقابل مبلغ مادي، وقد يحصل على عقد معاييره واضحة بعدد النسخ دون الأرباح.

ثالثا: علاقة ملتزمة، يبرم العقد بين الكاتب والناشر المناصفة في قيمة الطباعة والأرباح مقابل طباعة عدد (١٠٠٠) نسخة، ويحصل الكاتب على (١٠٠-٢٠٠) نسخة، إضافة إلى الأرباح.

رابعا: علاقة مرضية، يتم العقد دون دفع أي مبلغ من قبل الكاتب، مقابل استلام نسخ محدودة لا تتجاوز (٢٠-٥٠) نسخة حسب عدد النسخ المطبوعة.

إن هذه العقود الأربعة من خلال تجربتي مع مجموعة من الناشرين نجد الكاتب فيها مغبونا أمام عقود الكثير من الناشرين يستلب تلك الأرباح، ولا يفي بالتزامه مع الكاتب؛ بل كثيرا ما يسلبه عدد النسخ المتفق عليها، وفي كل ذلك تتراءى معضلات تواجه العلاقة بين الناشر والكاتب، لعل أبرزها كما بدا لي:

- الكاتب العربي رهين واقع بائس، ومشهد تحكمه السلعة التجارية، فيتساوى مقام الفكر مع سلعة تجارية ثمينة أو زهيدة.
- أبرز سمات الناشر العربي اهتمامه بالكسب المادي لا الترويج للفكر، ودعم بذور المعرفة.
- صحيح أن هناك ناشرين يأخذون بقيمة الكاتب وجودة منتجه المعرفي، إلا أنهم يتوارون حال خروج الكتاب إلى النور مقابل استلام مبلغ العقد.
- تنتهي طبعة الكتاب الأولى، وتبقى لسنوات تتجدد على أنها طبعة أولى دون إخطار الكاتب، وهو ما نلمحه عند الأغلبية.
- يروج الناشر للكتاب الذي تحت مظلة معرفته؛ مما يؤدي إلى عدم مصداقية قيمة الكتاب عند المتلقي.

وأخيرا، هناك أسباب جلية تفرض نفسها بقوة أمام مشهد الواقع الثقافي، فالكاتب يعاني من مجموعة من الإحباطات التي تقوده إلى العزلة، وتدفعه إلى الشعور بالنبذ؛

الأمر الذي كثيرا ما يجعله يفضل الخلود إلى صومعة الكتابة الصامتة، أو التخلي عنها فيجد في ذلك نفسه متصالحة مع ذاته، أو نافرة من محيطه. مقابل حقيقة الواقع الثقافي العربي الذي يكرس التمييز بين صدور كتاب جديد. فيقصى كاتبا مقابل تبجيل كاتب آخر؛ مما يضعف الأدوار المنوطة بعملية النشر أمام المشهد الثقافي الذي يلزم الناشر بتبعات لا تسهل العقبات والتحديات التي تمر بها حقيقة النشر في معارض الكتب؛ خاصة إن لم تستوعب ذلك المؤسسية لتذلل حضور دور النشر، وتسهيل شؤون مبيعاتها بدعم حضور الكتاب في أرفف المكتبات لتصبح الأسعار في متناول جميع القراء؛ تحتضن الكاتب بالتعريف به وبمنجزه؛ لتصبح معارض الكتب علامة فارقة تصقل عملية النشر، وتلفت الباحث للإصدارات الجديدة، وتدله على الخيارات الجيدة من العناوين، وتعمق العلاقة من أجل الكتاب بين الأقانيم الثلاثة (الناشر، والكاتب، والقارئ). وبهذا كله نستطيع الأخذ بيد الناشر والكاتب والكتاب.

(*): كاتبة وباحثة من سلطنة عُمان.

محمود شقير*

1

"لم يكن إصدار كتابي الأوّل سهلَ المنال في القدس إبَّان ستينيات القرن العشرين. إذ لم تكن هناك دور نشر معنية بطباعة الكتب في المدينة وفي غيرها من مدن الضفتين الشرقية والغربية اللتين تشكّلت منهما آنذاك المملكة الأردنية الهاشمية. ظهرت في المدينة بعض المطابع التجارية، عرفتُ منها مطبعة مشَحْوَر التي داومت على طباعة مجلة "الأفق الجديد" المقدسية.

بعد توقّف المجلة عن الصدور عام ١٩٦٦، عكفت على نسخ قصصي التي نشرتها في المجلة، لعلّ المطبعة المذكورة تصدرها في كتاب مقابل دفع نفقات الطباعة. ولم يصدر الكتاب بسبب هزيمة حزيران ١٩٦٧.

"خبز الآخرين" هو كتابي الأول الذي قدّمني للقراء ولمحبّي الأدب وللنقاد. كتبتُ قصص الكتاب في الفترة من العام ١٩٦٢ إلى العام ١٩٦٨، وتأخر إصداره إلى العام ١٩٧٥ بسبب صعوبات النشر آنذاك في البلاد.

وحين أقدم شبابٌ معنيّون بالأدب على تأسيس "منشورات صلاح الدين" في القدس عام ١٩٧٤، بادروا إلى جمع قصصي التي كانت منشورة في مجلة "الأفق الجديد"، وفي مجلة "الجديد" وصحيفة "الاتحاد" الحيفاويتين، وأصدروها في كتاب.

كنت آنذاك معتقلاً إداريًّا في سجون المحتلّين الإسرائيليين بسبب نشاطي السياسي ضد الاحتلال. وقد شعرت بأن إصدار كتابي الأول، وأنا قابع في السجن، هو أفضل مكافأة لي من دار نشر فلسطينية ابتدأتْ مسيرتها بجدارة، وصار لها فيما بعد دورٌ مرموق في تحفيز الكتابة

الإبداعية في فلسطين، وبخاصة في ميداني القصة والشعر، إبّان سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين.

2

ظهرت مجلة "الأفق الجديد" في القدس عام ١٩٦١ واستمرّت إلى ما قبل هزيمة حزيران ١٩٦٧ بأشهر معدودات.

وقد نشرتِ المجلة أولى قصصي عام ١٩٦٢، ولم يتحقّق هذا النشر بالسهولة المتوخّاة. تأكّدتُ من ذلك حين قابلتُ رئيس تحرير المجلة، الشاعر أمين شنّار، في مكتبه الواقع في شارع الزهراء بالقدس، ومعي أربع قصص كتبتها في فترات متقاربة. قرأها ولم تعجبه. قال إنّ فيها ما يشي بكاتب واعد، لكنّها في حالتها الراهنة لا تصلح للنشر.

ولم أيأس. واصلتُ المحاولة تلو الأخرى إلى أن نجحت في كتابة قصة نالت إعجاب رئيس التحرير. وحين وجدتُها منشورة في المجلة طرتُ من الفرح، وشعرتُ بأنني أصبحتُ منذ تلك اللحظة كاتبًا. كانت تلك القصة هي اللبنة الأولى التي انبنى عليها كتابي الأول.

3

وحين وقعت هزيمة حزيران ١٩٦٧، وأصبحت فلسطين التاريخية كلها تحت سيطرة المحتلين الإسرائيليين، وقع تحوّل واضح في قصصي التي صارت معنيّة بالهمّ الوطني أكثر من اهتمامها بالهمّ الاجتماعي، مع عدم نسيان هذا الهمّ حين يتداخل الهمّان معاً.

كتبت بعض القصص مباشرة بعد الهزيمة، ونُشرتْ في كتابي الأوّل، وفيها تركيز واضح على ضرورة الصمود فوق أرض الوطن ومقاومة الاحتلال.

وما أفرحني وأنا في السجن الإسرائيلي، أنّ الشاعر الفلسطيني توفيق زيّاد، رئيس بلدية الناصرة لسنوات طويلة، هو الذي كتب مقدّمة الكتاب، وأنّ الفنّان التشكيلي الفلسطيني سليمان منصور هو الذي رسم لوحة الغلاف، ومما جاء في المقدّمة: " أمّا في قصصه التي كتبت قبل ١٩٦٧ فإن محمود شقير يقدّم لنا القرية الفلسطينية بطبيعتها الجميلة وأهلها الطيبين البسطاء، الذين يكدحون بقسوة ويجوعون وهم يحلمون بحياة أفضل يسودها العدل والاكتفاء. وهو يعالج

بوعي مسألة التناقضات الاجتماعية بين أغنياء القرية وفقرائها، حيث تحسّ أن القرية وناسها تحت جلده. وشخصياته التي يرسمها نموذجية تستطيع أن تتعرّف إليها في نفسك أو في الذين من حولك، وهو يكشف لنا عن طبيعة القهر الطبقي والاجتماعي الذي هو نصيب فقراء الفلاحين."

4

الجدير ذكره أن الطبعة الثانية من "خبز الآخرين" صدرت عن "دار الثقافة الجديدة" في القاهرة في العام ١٩٩٠، بالتعاون مع دائرة الثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية.

ومما جاء على الغلاف الأخير لهذه الطبعة: "محمود شقير الذي كتب، بنجاح، الدراما التلفزيونية، وقصص الأطفال أيضاً، يعرف كيف يطوّر أدواته التعبيرية، وكيف يعمّق رؤيته الفنية ويطوّرها، مما وفّر له قدرة على تنوّع الأساليب الكتابيّة، جعلت القارئ يتساءل عمّا إذا كان مؤلف "خبز الآخرين" هو نفسه مؤلف "طقوس للمرأة الشقيّة". ولكنه هو نفسه: المبدع، الصافي، المتجدّد، والمنتسب إلى كلّ ما يجعل الحياة أكثر جمالاً وعدلاً."

بعد ذلك بخمس سنوات، أي في العام ١٩٩٥، صدرت الطبعة الثالثة من الكتاب في القدس عن دار القدس. وفي عام ٢٠١٢، صدرت المجموعة مع ثلاث مجموعات قصصية لي في مجلد واحد من دار راية للنشر في حيفا.

أخيرًا يمكن القول: لولا إصدار كتابي الأوّل كان يمكن ألا أستمرّ في الكتابة الإبداعية. تلك كانت مفاجأة ملهمة جاءت في وقتها الصحيح.

(*): **كاتب فلسطيني**، متفرغ للكتابة، ويعيش في مدينة القدس. مواليد جبل المكبر/ القدس عام ١٩٤١. حاصل على ليسانس فلسفة واجتماع من جامعة دمشق عام ١٩٦٥.

نشر حتى الآن ٧٩ كتاباً للكبار وللصغار، بينها سيرته الذاتية في كتابين، واثنتا عشرة مجموعة قصصية، وثلاث روايات للكبار، وسبع روايات للفتيات والفتيان.

محمد شويحنة*

كانت جاذبية السرديات وأدب السيرة تحديداً، لها ما يشبه السحر الكامن في اكتشاف عوالم جديدة راحت تتعايش بموازاة العالم ذي البعد الواحد الذي كنا نحياه في حلب، ما دفع إلى قراءة كم لا بأس به من المنتج الأدبي العربي والعالمي في سنوات الدراسة الثانوية ثم الجامعية.. الدافع إلى الكتابة كان مبكراً، وقد تم التجاوب معه من خلال كتابة عدد لا بأس به من القصص القصيرة والخواطر الأدبية، وقد نُشر بعضها بتشجيع من الأديب القاص المرحوم جورج سالم. في المرحلة الجامعية الأولى في قسم اللغة العربية تعزز الاتجاه لدي إلى قراءة كتب النقد والدراسات الأدبية، وهذا ما دفعني لمطالعات معمقة في مجال السرديات، وما نتج عنه إعداد دراسة مسهبة في القصة القصيرة كبحث مقدم إلى كلية الآداب لنيل درجة الماجستير، وقد ظهرت الدراسة إلى الوجود فيما بعد معدلة ككتاب من منشورات وزارة الثقافة في سوريا باسم (القصة القصيرة في أعمال رابطة الكتاب السوريين) عام ٢٠٠٥، لكن هاجس كتابة رواية ظل يتنامى باستمرار، شيء ما في النفس يحاول أن يظهر، أحسست وأنا في دبي مدرساً في جامعة زايد بكم لا بأس به من (نوستالجيا) المكان والجذور، وتشكلت المادة الأولية لرواية ظلت إلى ما قبل نهايتها بلا اسم، حتى لمع في الخاطر عنوان (طوق الأحلام) أحلام عهد الصبا وأول الشباب، أحلام باهرة وعريضة ومنفلتة، لكنها بمجمل ما أتاحته حيثيات المرحلة ظلت أحلاماً مقموعة ومستلبة وتسير في درب مأساة لا تنقصها الملهاة أحياناً، وهذا موطن المفارقة الواخزة في حياة جيل وأجيال تلت.

حقيقةً قد نشأ في الداخل النفسي ما يشبه الترجح ما بين الكتابة النقدية والكتابة الأدبية، لكن إغراء البوح السردي لم يكن ليقاوم، بل لم يكن في رأيي ثمة تعارض ما بين الفعاليتين، فعندما

يمضي النص في مساراته الصحيحة لن يكون ثمة صدام، وهذا لا يكون إلا من خلال الصدق الفني والقدرة على شد القارئ، والواقع أن هاجس النقد قد يكون ذا أثر سلبي على النص ولكن ليس دائما، إن معرفة بسيطة في النقد من شأنها أن تحسن حظوظ النص الأدبي في النجاح، شرط عدم الافتعال وتفصيل النص على قد النقد.

أنجزت روايتي الأولى إذن، وقرأ المخطوط عدد من الأصدقاء المهتمين، ووجدت صدى مؤثراً وتفاعلاً جميلاً، وقمت بنفسي بطباعته على اللابتوب، وذيلت خاتمة الرواية بعبارة: دبي ٢٠٠٢، وكأنني كنت أقر أن الاغتراب كان دافعاً لظهور هذه الرواية. دفعت بالمخطوط للنشر في دور أدبية معروفة لكن معظمها اعتذر إن بسبب عدم معرفة الاسم كما تبين لي، أو باشتراط دفع مبلغ للدار من أجل نشرها، أعني على حسابي ودون تكفل بالتوزيع، ما جعلني ألجأ إلى دار ناشئة وقتها في حلب، لكن بنشاط لافت، لصاحبها القاص الأديب نادر السباعي، والتي ذاعت وانتشرت إصداراتها المميزة في معظم المعارض العربية، باسم مركز الإنماء الحضاري، وقد تم الاتفاق بعقد ينص على نشر ٥٠٠ نسخة، أشتري منها أنا المؤلف ٢٠٠ نسخة بسعر التكلفة، وهذا ما كان. وحصلت على نسخي مبتهجاً بالإصدار الأول عام ٢٠٠٤، وقمت كما هو معهود بإهداءات كثيرة أتت على مجمل ما عندي من نسخ. وقد سرني وشجعني الاحتفاء بها، وتناولها بالعرض والدراسة من قبل عدد من الكتاب والنقاد، أذكر منهم أنور محمد وفيصل خرتش وعلياء الداية والناقد عزت عمر في كتابه (ظاهرة العنف في الرواية العربية) من خلال دراسة موسعة في الكتاب، كما حولت الرواية إلى سيناريو فيلم لم ينجز من إعداد وضاح عقيل. لكن بقيتُ أظن أن الرواية لم تأخذ حقها من الذيوع والانتشار، إن بسبب حالة الركود الأدبي أو بسبب ضيق مساحة التعريف بالكتاب وانتشاره.

الكتاب الأول كما أشعر يحمل قيمة خاصة بالنسبة إلى مؤلفه، فهو بمثابة قطعة نفيسة من النفس، يحمل ما يحمل من سرد الذات، وربما يكون على مختلف أشكاله ومادته سيرة ذاتية مضمرة أو صريحة، في كل الأحوال هو منطلق لأعمال لاحقة، في حين لا تزال ظروف النشر المتعثر في سوريا تقف حائلاً دون تحقق ظهور أعمال جديدة إلا بصعوبة لا تخفى أسبابها.

(*): كاتب وروائي سوري.

سعيد خطيبي*

أتممت مخطوطة روايتي الأولى «كتاب الخطايا»، قبل الثّالثة والعشرين من عمري. كتبتها من وجهة نظر قارئ لا كاتب. كنت أكتب في أمكنة مختلفة: في البيت، في مقهى أو قاعة التّحرير. وأحتفظ بالملف بشكل وورد في فلاش ديسك، أضيف إليه أشياء أو أحذف أخرى، إلى أن وصلت إلى الصّيغة التي ظننت أنّها نهائية.

في الغالب، يستقر الكاتب في مكان واحد حين يكتب، بينما في حالتي أحبّ التجوّل. أتجوّل مع النصّ، أغيّر الأمكنة، وفي كلّ مكان جديد أفتح صفحة جديدة، أو أعيد مراجعة ما كتبته. أشعر أن الكتابة محفز على اللا استقرار، تنشّط هرمون القلق وعدم ائتمان المكان الواحد، وذلك ما حصل معي وأنا أشتغل على مخطوطتي الأولى.

أرسلت المخطوطة إلى صديقين أثق فيهما، واستجبت إلى ملاحظاتهما وعدّلت ما طلبا تعديله. ثم حوّلت المسوّدة النّهائية إلى السّيدة (كاف)، وهي كاتبة جزائرية، ألتمس رأيها. سرعان ما كتبت لي رداً تثني فيه عما جاء في النصّ، مع إصرارها أن أمنحها الحقّ في التّصرّف بالمخطوطة كي تعرضها على ناشر عربي. تلك الرّسالة أشعرتني بطمأنينة، أن تجربتي الأولى تستحق أن تُقرأ، وحرّرتني من ضغط نفسي – كثيراً ما ارتبطت الكتابة في ذهني بعدم طمأنينة، يُساورني قلق كلّما هممت بالكتابة – وجعلتني أنصرف عن

التّفكير فيها وانشغلت بمشاريع أخرى. حسمت أن الرّواية سوف ترى النّور وأنّها مسألة وقت لا أكثر.

فرغت من ترجمة كتابين من الفرنسيّة إلى العربيّة، وصدرا، ثم ساهمت في ترجمة موسوعة السّينما الإفريقية وصدرت كذلك، في حين لم تصدر الرّواية، وقد مرّت سنتان على إرسالها إلى السّيدة (كاف) التي وعدت بعرضها على ناشرين. حين سألتها عنها، تحجّجت بكثرة انشغالاتها وتماطل النّاشرين في الردّ، وعلمت فيما بعد أنّها لم تقدّمها إلى أي جهة، بل أرادت فقط أن تلعب دور «المستكشفة». أرادت أن تتبنّى كاتباً، ولم تفعل ذلك معي فقط، بل مع كتّاب آخرين من جيل الشّباب. لماذا حين يتقدّم الكاتب الجزائري في السنّ يمنح نفسه الحقّ في تبنّي كتّاب شباب؟ لقد صارت ظاهرة. صرفت النّظر عنها دون عتاب، محافظاً على خيط الصّداقة والودّ.

توالت الانشغالات وهزّات الحياة وطفراتها وكثرة السّفريّات إلى أن صادفت كاتباً سورياً، طالع المخطوطة واقترح عليّ إرسالها إلى دار نشر مصرية، لكن بعد يومين، وقبل أن أرسلها، عاد إليّ وأقنعني بعدم جدوى التّفكير في تلك الدّار بسبب خلاف طرأ بينه وبين مالكها الذي لم يدفع له مستحقات حقوقه كمؤلّف. نويت عندئذ عدم الاتّكال على أي أحد وأن أرسلها بنفسي إلى دور نشر – عن غير تحديد – كما يفعل أي كاتب شاب. وأرسلتها في البدء إلى دار حديثة النّشأة. كان ذلك عام ٢٠١٢ – راودني أن دور النّشر المعروفة لن تهتم برسالة من كاتب غير معروف لذلك تفاديت التّواصل معها، هل كنت على خطأ؟ – . ولم يتأخّر ردّ تلك الدّار النّاشئة. في البدء طلبوا منّي مهلة للقراءة وإبداء الرّأي وبعد أسبوعين وصلني إيميل يُبشّرني أنّها سوف تنشر، وأنّهم سوف يرسلون لي عقداً «عما قريب». ندمت على الوقت الذي ضاع في انتظار ردّ السّيدة (كاف)، فالعملية ليست معقّدة كما ظننت، كان بإمكاني أن أرسلها إلى تلك الدّار من البداية. لكن «عما قريب» التي

وردت في رسالتهم الإلكترونية طالت، فأعدت التّواصل معهم متسائلاً، وجاءني الجواب في غاية الغرابة: أن تلك الدّار تراجعت عن قرارها وتعتذر عن نشرها بحجّة أن لجنة الرّقابة في وزارة ذلك البلد تحفّظت على ما جاء فيها من «مفردات وعبارات غير أخلاقية». عدت إلى النصّ أفتّش عما يمكن أن نصفه بـ «غير أخلاقي» ولم أجد شيئاً يستحق الذّكر. عدت إليهم سائلاً فوصلني ردّ بدا لي مضحكاً، فمن بين الكلمات التي تحفّظت عليها لجنة الرّقابة هناك، كلمة «سكسو» وهي المرادف الأمازيغي لكلمة «كسكسي»، يعلم الجميع أنها أكلة شهيرة في الجزائر، عدا الرّقيب الذي يبدو أنّه فهم معنى آخر .

غالبني شعور أنّها رواية ملعونة، ولن تصدر أبداً، وعليّ أن أتخلّص من ذكراها وأفكر في مشروع آخر. ومضت أيام كادت أن تمحى تفاصيلها من بالي، عندما كاتبتني صديقة من الجزائر على الفايسبوك، فقد سمعت من صديق مشترك أنني أملك مخطوطة، وبما أنّها قد عيّنت للتوّ على رأس مؤسسة نشر، اقترحت عليّ أن أرسلها لها، وفعلت. كنّا في شهر مارس، حين أبلغتني عن إعجابها بالرّواية، ونيّتها في إصدارها تزامناً مع معرض الجزائر الدّولي للكتاب الذي ينعقد في الخريف. كان ذلك عام ٢٠١٣ وقد مرّت حوالي ستّ سنوات على كتابتي لها. وهي مدّة كافية كي أكظم فرحتي بقرب صدور روايتي الأولى، شعرت أنّها تأخّرت أكثر مما يلزم، وأن تصدر أو لا تصدر فذلك «كيف.. كيف» كما نقول بالعاميّة الجزائرية. في مطلع خريف ذلك العام، بينما أنا أتجوّل في بلغراد، راسلتني تلك الصّديقة عبر الفايسبوك دائماً تطلب منّي صورة، فأرسلت لها المطلوب ثم اختفت، رغم إلحاحي أن تشاركني صورة الغلاف التي تنوي اعتمادها، وأن تطلعني على صيغة (بي.دي.إف) من الرّواية قبل تحويلها إلى المطبعة. تحجّجت بكثرة انشغالاتها مع اقتراب موعد معرض الكتاب. وواصلت يوميّاتي في بلغراد، التي وصلت إليها قادماً من سراييفو، وآنذاك بدأت تتخمّر في ذهني رواية «حطب سراييفو»، التي سوف تصدر بعد سنوات من تلك الواقعة. عدت من رحلاتي في البلقان وصادفت صورة غلاف رواية بالأزرق، على الصّفحة الثّقافية من جريدة يومية، كُتب عليها بالأحمر «كتاب الخطايا»، يعلوها اسمي بالأسود. روايتي الأولى صدرت وأنا لم ألمسها بعد.

توجّب عليّ أن أنتظر نهاية معرض الكتاب، وأنا غائب عن الجزائر، كي يتطوّع صديق لا علاقة له بتلك الجهة النّاشرة، والتي تنام على ميزانية تناهز ميزانية وزارة، ويُرسل لي أخيراً نسخاً من الرواية بالبريد. عندما اطّلعت عليها فهمت لماذا تهرّبت النّاشرة من إرسال نسخة (بي. دي. إف) قبل طبعها، فقد صدرت الرّواية مبتورة ومشوّهة وقد حذفت منها كثير من المقاطع حتّى صارت أشبه برواية – زومبي.

رواية «كتاب الخطايا» كُتبت بلسان شابة أمازيغية، تُدعى كهينة. تستعيد الرّاوية يومياتها في الجزائر العاصمة. تقمّصت جلد فتاة وكتبت بلسانها مما جنبني أن تكون روايتي الأولى رواية سيرذاتية. هكذا إذن صدرت الرّواية وقد أفرغت من محتواها الأصلي، وصارت أشبه برواية مفكّكة، لأن النّاشر قرّر ممارسة «حقّه» في الرّقابة، في بلد لا توجد فيه قوانين تحمي المؤلّف، ولا سلطة للمؤلّف في متابعة ناشر أقدم على فعل مثل ذلك.

(*): كاتب وروائي جزائري.

سماح ممدوح حسن*

لا عجب أن عملية النشر لأي كاتب، عملية شاقة وطويلة خاصة إن كان الكاتب لا يتعامل مع دار نشر لا تتقاضى مقابل النشر. لكن في الوقت عينه هي عملية مغرية، رؤية الكاتب لاسمه على كتاب هو غواية. وتلك الغواية هي ما تدفع الكثيرين للتعجّل على النشر.

صدرت أولى أعمالي مجموعة قصصية مترجمة بعنوان "إعدام" وكانت عبارة عن مجموعة قصص مترجمة لكتّاب مختلفين. صدرت عن دار إبداع للترجمة والنشر في عام ٢٠١٩ .

أتذكر مدى فرحي برؤية اسمي مطبوعا على كتاب، وخوفي، ولا أزال، بعد نشر العمل الأول من الخطأ والنقد. أظن أن هذه المشاعر المتضاربة من الخوف والفرح والقلق تنتاب كل من يعمل في مجال الإعلام عموما والكتابة بشكل خاص. فحتى الآن لا أزال أترقب نشر مقال، حتى لو مقال وأترقب ردود الفعل عليه.

في بداية حياتي العملية كنت أتعجل العمل وأتعجل النشر، لكني الآن أحاول التمهل أكثر في النشر، وأتمنى أن أنجح في هذا التمهل، لإعطاء نفسي فرصة أكبر لمراجعة الأعمال أكثر من ذي قبل، فكلما زاد عمر وخبرة الكاتب خاصة العامل في المجال الثقافي زاد خوفه وتمهله في النشر.

هناك بعض النصوص أجدها صعبة على الترجمة، وقد كانت معظم مجموعتي الأولى كذلك، وبعضها سهل للغاية. أما النصوص الصعبة تكمن صعوبتها في أحيان كثيرة في قدم النص، حيث تكون المصطلحات وتركيب الجملة مختلفة، وأحيانا فكرة النص ذاته حتى لو في المجال الأدبي، فهناك بعض القصص مثلا يكون بها مغزى فلسفي غامض بعض الشيء. لكن النصوص الحديثة ربما تكون أسهل بكثير في العمل لأن اللغة فيها مألوفة والسرد واضح.

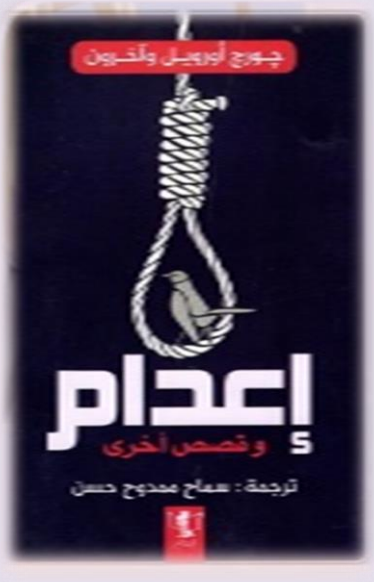

"إعدام" مجموعة من القصص لأهم الكتّاب الذين شكلوا ركأئز الأدب العالمي. هذه المجموعة تدور في إطار اجتماعي وإنساني نتناول فيها حياة بعض البشر الذين تشبه حياتهم حياة الكثرين منا. وتشتمل المجموعة على اثنتي عشر قصة متنوعة. من بينها قصة "إيفلين" لجيمس جويس وهي عن فتاة يتيمة تحتّم عليها الاعتناء بأسرتها بعد وفاة أمها وهذا الأمر منعها من الهروب والزواج بمن تحب. وضمت المجموعة أيضا قصة بعنوان "إعدام" والتي سميت بها المجموعة، لجورج أرويل. وأذكر أن الناشر هو من أختار هذا الاسم، فلا أتذكر على وجه الدقة الاسم الذي اقترحته أنا أولاً. من بين قصص هذه المجموعة التي تأثرت بها كثيراً، وربما هي القصة الأولى التي ترجمتها كانت "ساعة من الزمن" لكيت شوبان، وكنت أظن أن بطلة القصة سيدة ذات حظ تعيس، فعندما تزوجت ممن لم تحبه وكرهت العالم ونسيت إنسانيتها وفي لحظة ما عرفت بموته وظنت أن الحياة ضحكت لها. إنهار الحلم واكتشفت عكس ذلك فماتت هي وحزنت أنا على مصيرها في الحقيقة. قصة "عربي" أيضاً من تأليف جيمس جويس التي أحسست أنه كتبها عن الجميع، كل من مر بمرحلة المراهقة، تذكّر الجميع بمتاعب حياتهم في تلك الفترة وكنت من بينهم. أيضا تلك القصة الإنسانية التي لا ترتبط بزمن معين. قصة "ندم" لكيت شوبان، الكاتبة التي أحب لها قصصاً عديدة، كتبت تلك القصة وكأنها تنبيه أو نظرة مستقبلية لسيدات كثر فضلن النجاح في الحياة العملية على الحياة الأسرية.

سعدت بنشر المجموعة كثيرا، سعدت بترجمتها من قبل فتنوع موضوعاتها أضفى عليها ميزة خاصة، وعلى الصعيد الشخصي أحببت القصص فأردت أن يقرأ الآخرون ما أحببت. وأيضاً لم أُقابل حينها متاعب كثيرة في عملية النشر فقد كانت إدراة دار النشر متعاونة، خاصة هي دار تهتم بشكل خاص بالترجمات.

(*): كاتبة ومُترجمة مصريّة.

عزالدين بوركة*

إن كل عملية كتابة حقيقية– إبداعية كانت أو بحثية أو نقدية– هي حفْر في الذات والعالم معا، بالمعنى الأركيولوجي والنحتي في الآن ذاته.. تارة بما تستدعيه العملية من نبش خفيف وحذر وتارة بما تتطلبه من نقش وقوة وتدخل حكيم لا مجال للخطأِ فيه. فالكاتب –مثل الفنان– بقدر ما يكشف عن الغائر والخفي فهو ينحت اللامرئي ليجعله مرئيا.

ولأن كتابة البدايات –في الغالب– هي كتابة تجريبية تسعى إلى إعلاء الصوت وقول "أنا هنا فلتنتبهوا لي" ! لا بد لها أن تكون مغامرة غير محسوبة المخاطر.. يتبعها الكاتب "الشاب" ليكشف عن ذاته داخل أدغال المؤلفين والكتاب والمبدعين. لهذا كثيرا ما تبدوا النصوص الأولى كأنها خارجة للتو من معركة صاخبة، قد شقت طريقها بصعوبة وسط الفرسان والموتى.. يندفع الكاتب في البدايات نحو «قتل الأب» قبل المنافس.. كاسرا «جدار الصمت» ومخترقا الحدود ومتجاوزا الفواصل وقافزاً على الموانع. إذ غالبا ما تكون النصوص الأولى تجريبية النزعة، تتخذ التخريب «نسقا» لها. أقول غالبا، لأن من الكتاب الشباب من يتبع تقليد الأصوات الأولى، حتى يدرّب صوته ويبتعد عن الخصومات والصراعات، إذ يهتدي بالمهادنة سبيلا..

بين هذا وذاك، ليس للنصوص الأولى، أبدا، أرض مفروشة بالورود ولا معبدة يصلح المشي عليها. لهذا لا بد لها من انتهاج التحدي طريقة لإعلاء الصوت في عالم ضاج بالكتابات.

كانت أولى النصوص التي كتبتها عبارة عن محاولات لتجريب الذات وسط كل ما اكتنزته من ذوات أخرى في داخلي، عبر قراءات مختلفة لنصوص متعددة باللغتين العربية والفرنسية.

وجدت نفسي أكتب عن نفسي وعن الطفولة وعن الأسرة، مبحرا في عوالم متخيلة لكنها تنطلق من الواقع لتحرّفه قدر المستطاع. هكذا تدربت يدي على التدوين ونقر الكلمات (على الورق وشاشة الحاسوب). أنا من جيل الانترنيت وفضاءات النشر الإلكترونية التي دمقرطت عملية النشر والكتابة، لم يكن من الصعب نشر مجموعة من النصوص الأولى، التي سوف يتضح لي فيما بعد على أنها «محاولات لا ينبغي الندم عليها وإن فيها ما فيها»، إلى أن فتحت لي مواقع وجرائد متخصصة صفحاتها البيضاء لِمِلْءها بسواد كلماتي التي آمن بها الكثيرون. هناك مرّنت يدي على اختيار النص اللائق للنشر والكشف عنه، من النص الذي لا ينبغي أن يخرج إلى العلن.

ظلت محاولات وكتابات شعرية طيّ الصمت، إلى أن اكتمل مشروع عمل شعري آمنت به، آنئذ عملت على إصلاح أعطابه وتوصيب هفواته رفقة بعض الأصدقاء المقربين، فلا بد للكاتب من قراء أولين مهمتهم تبيان مكامن الخلل، أو حتى العمل على تمزيق العمل إن دعت الضرورة. في تلك الفترة كان من الصعب –نسبيا– نشر العمل ورقيا.. شخصياً لا أحبذ أن ينشر الكاتب تعب تفكيره ومخيلته ويده على حسابه الشخصي.. ولم توجد حال ذلك دور نشر بالكم المتميّز الذي نشهده اليوم.. انتظرت زمنا إلى أن حظي العمل، الذي ظل في أدراج وملفات الخزانة الحاسوبية لمدة طويلة، بفرصته ليظهر على هيئة الورق بعدما توّج بجائزة شيماء الصباغ لسنة ٢٠١٦ بمصر. لم تكن سيرورة الكتابة سهلة، أو واضحة المعالم والسبيل، فكثيراً ما كنت أقف لأطل على الأفق البعيد، وأقول لنفسي الصامتة «هل لا بد أن نتبع هذه الطريق(ة)؟». إن الإبحار في عالم الكتابة يشبه سبر أغوار المحيط الهائج بقارب من خشب هش، وعلى الكاتب/البحار أن يتمرّس في التقاط الأعواد والألواح الملقاة في عرض البحر لإصلاح قاربه وترميمه، وأيضا لجعله أكثر قدرة على مجابهة الأمواج العاتية والعواصف الضارية: فلا كتابة مع اليأس!.

(*): ناقد وباحث جمالي من المغرب.

محمد الحديني*

للكتاب الأول مشاعر متضاربة من فرح وتوتر وترقب، وأذكر أنها انتابتني جميعها في مراحل إصدار مجموعتي القصصية القصيرة جدا الأولى وكان ذلك عام ٢٠١٥. القصة القصيرة جدا جنس أدبي حديث نسبيا في ساحة النشر الورقي، إضافة إلى ما تعانيه من أزمة إثبات ذات على المنحنيين النقدي والإبداعي. فعلى المستوى النقدي لاتزال القصة القصيرة جدا تواجه سيل من الاستهجان وعدم الاعتراف من بعض النقاد وهو الأمر الذي انعكس بدوره على المستوى الإبداعي وتسبب في قلة المجموعات القصصية المنشورة ومن ثم أصبح نشر كتاب يضم في طياته قصصا قصيرة جدا فعلا أقرب إلى المغامرة أو المخاطرة.

ومما زاد من صعوبة الأمر عندي ما تلقيته من تعليقات وانطباعات مبدأية وصفت بعض ما أكتبه بالسريالي والغرائبي ولكنني اتخذت القرار وأرسلت مجموعتي القصصية المعنونة بـ(خارج أضلاع الدائرة) إلى إحدى دور النشر المصرية وقمت بمتابعة مراحل صدورها مع مسؤولي الدار عبر وسائل التواصل الاجتماعي نظرا لإقامتي خارج مصر. وقد لاقت هذا المجموعة احتفاء معقولا على المستوى النقدي حيث ضُمنت بين طيّات رسالة ماچستير أعدتها الباحثة المصرية أميرة عبد الشافي

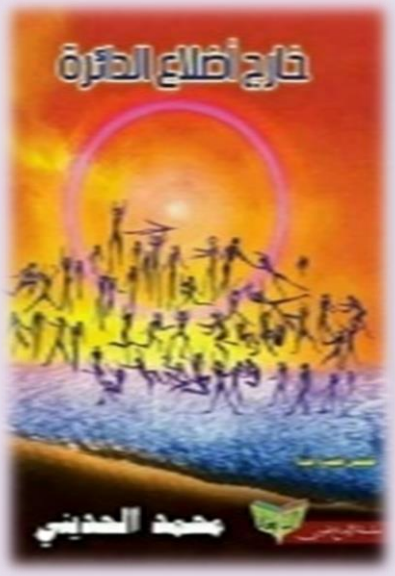

وكتب عندها الناقد والأكاديمي المغربي د/ مسلك ميمون والناقدة والأكاديمية العراقية د/ أمل الأسدي كما تم اختيارها من ضمن أفضل الإصدارات العربية في مجلة العربي الكويتي إضافة إلى مناقشتها في ندوة نظمها مختبر السرديات بمكتبة الإسكندرية العريقة.

وجدير بالذكر أن هذه المجموعة القصصية كانت أساس مشروع كتابة حيث لحقها مجموعتان قصصيتان قصيرتان جدا فازت آخرهما والمعنونة بـ(لا أحد هناك) بجائزة الدولة التشجيعية في الآداب ٢٠١٨.

(*): قاصّ من مصر.

هشام بن الشاوي*

الكتابة جسر الألم

أحياناً، عند قراءة كتاب ما، أضعه على طاولة مقهى.. أتركه وحده، وأنا على يقين أن لا أحد سيلمسه أو يفكر في سرقته!!!

بداية أم بدايات ؟

لا أتذكر التواريخ بالضبط، لأن الخيبات بلا تاريخ، لكن الألم الذي تجرعته مرتين، وفي كلتا الحالتين، تسرب إلى القلب، وهو يكنس لباقة حواء، وهي تعتذر عما لا يمكنها فعله، لكنني أتذكر جيدا تلك النصوص المرتبكة، المغلفة برومانسية ساذجة، التي تخلصت منها لاحقاً، بينما احتفظت بنص واحد أو إثنين!

أتخيّل –الآن– سخرية من يمسك دفترا مدرسيا، كما لو كنتُ أكتب مواضيع إنشاء.. فيما بعد، سوف أتمرن على كتابة الألم/ ألمي الخاص.. وأعتقد أنني أفلحت –إلى حد ما– في تعبيد طريقي الخاص، دون أن أعرف معنى عبارة «التخييل الذاتي»، ولن أغضب حين يكتب لي صديق عن طغيان حضور المؤلف الضمني، سوف أخبئ الألم العابر، وأقحم هذه العبارة في بعض النصوص.. محتفياً بأسلوبي التجريبي الخاص، نكاية في

النقاد والقراء، دون أن أنكر أنني كاتب عصامي (فشلت في الحصول على الشهادة الثانوية).

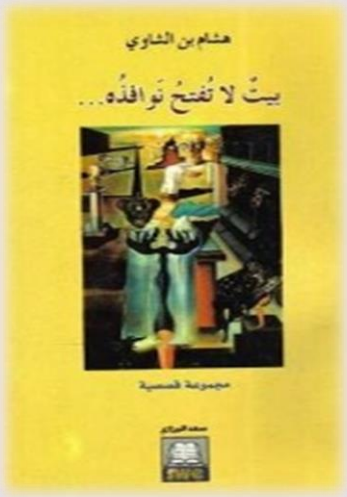

كنت مسكونا حد الهوس بالبحث عن موضع قدم لي في عالم لا يتوقف عن اغتيال الأشجار من أجل قذف المزيد من الكتب، التي لا يقرأها أي أحد، حتى لو أهديتَها له!!!

نَشْر كتابي القصصي الأول: «بيت لا تفتح نوافذه»، لم يكن نهاية الألم.. بل بداية أخرى لألم مزمن. صحيح، أنني لا أستطيع أن أنسى فرحة قراءة اسمي –لأول مرة– على غلاف كتاب، ولا أريد نبش قبر تفاصيل مُوجِعة عن أساليب الخداع والاحتيال، التي تعرض لها أغلب الأصدقاء، الذين اختاروا النشر على نفقتهم الخاصة، ولا أرغب في الحديث عن الكلام الجارح، الذي قاله أقرب الناس إلي، لأنني ضيعت مدخرات سنوات من العمل في أوراش البناء.. من أجل كتاب سوف أقول لناشره بنبرة احتجاج غير معلن، وهو يعرض علي أخذ (كرتونة) المرجوعات: "افعل بها ما شئت.. احرقها أو افرمها".

لم أرغب في أن أتحول إلى عتّال على متن قطار.. بين ثلاثة مدن.

بصيص أمل:

ومع ذلك، ثمة بصيص أمل، على الرغم من هذا السأم الذي نعيشه جميعا، والذي لم أفلح في ترويضه وتدجينه، وتحويله إلى قصة قصيرة.

قبل سنوات، بدأت نصاً سردياً بكلمة الضجر، واصفاً إياها بأنها كلمة مقيتة، وظفرت بنص أعتز به: "قيلولة أحد خريفي".

اليوم، أجدني عاجزا.. غير قادر –حتى– على شتم هذه اللحظة، التي تظلل مفردات حياتنا اليومية جميعاً، في عالم عدائي، يمعن في الاحتفاء بالمجانين، النخّاسين والسماسرة.

غنيمتي....

غنيمتي في معركة، تتخللها أكثر من استراحة محارب؛ أو من دون تنميق لغوي: التوقف عن الكتابة لسنوات، لكن، حتما، تكون العودة –دوما– باستراتيجية مغايرة. طبعاً، هناك رواية لست مقتنعا بها، ولا أرغب في إعادة كتابتها، كما اقترح البعض: «هكذا ينتهي الحب عادة»، ومجموعتي القصصية الثانية: «روتانا سينما.. وهلوسات أخرى»، التي أدركتُ لاحقاً أنني تسرعت في نشرها، وفيهما تحضر بعض تفاصيل تجربة الحب الأول، بإخفاقها القاسي، والذي دفعني إلى الكتابة بجرأة...

ثمة كتاب حواري نشر إلكترونيا فقط، تماماً كتلك الرواية الفاشلة، لكنهما متاحان للقراءة والتحميل. من حق القارئ أن يطلع حتى على عثرات تجربتي الأدبية المتواضعة.

اعتراف قد لا يهم أحدا:

أحب الأعمال إلى قلبي:

١– رواية «قيلولة أحد خريفي»، الفائزة بإحدى جوائز الطيب صالح في دورتها الثانية.

٢– مخطوط مجموعتي الجديدة: "لا أحد يسمع نشيج التراب".

(*): كاتب من المغرب

عبدالله مكسور*

منذ أن كنتُ طالباً في الجامعة، راودتني فكرة الكتابة، بل بدأت حقيقة ببناء قصة استمرت بعد ذلك سنوات، لم أكن أمتلك حينها الأرضية الصلبة للانطلاق في عوالم السرد وتقاطعاته، حتى نتج عن ذلك المخاض بعد سنوات رواية أولى لا تتجاوز المائة وخمسين صفحة، كنت مندفعاً لفكرة النشر وفي بعض الأحيان أخفيت المسودة الأولى كي لا ترى النور، ولا أُخفي أني حينها لم أكن أدرك تماماً حجم المسؤولية التي يُلقيها كِتابٌ على عاتق الكاتب.

كنت مدمناً على معارض الكتب، أسافر لأجلها من مدينة إلى أخرى وخلال أحدها تعرفت عن طريق الأستاذة في العلوم السياسية رفقة شقور إلى ناشر تبنّى المشروع وعمل على تقديمه، اليوم بعد أكثر من ١٠ سنوات أنظر إلى تلك التجربة على أنها الخطوة الأولى التي لا بد لكل كاتب بالعربية أن يعبر بها، يدفع الكاتب العربي مالاً مقابل كتابه الأول وربما في حالات أخرى للثاني والثالث، وما زلت إلى اليوم أتساءل لماذا يدفع الكاتب العربي مالاً مقابل أن يصدر له عملاً أدبياً؟.

هذه العلاقة بصيغتها السابقة بين الناشر والكاتب لم أجدها إلا في عالم النشر العربي الذي يرضخ لاعتبارات عديدة ومتنوعة؛ الكاتب هو الطرف غير الرابح بها دوماً.

كل كتابٍ يصدر هو كتابٌ ناقص في نظر الكاتب، يحتاج دوماً إلى المزيد من التنقيح والتجويد، في الكتاب الأول كانت فكرة تحرير النص والاشتغال عليه من محرر أدبي ترفاً ليس في المتناول، بعد ذلك تعاملت مع دور نشر لها باع طويل في فكرة التحرير الأدبي وهذا انعكس بشكل حقيقي ومباشر على جودة المُنتج بصورته النهائية وتلقيه لدى القارئ.

الكتابُ الأدبي الأول كتابٌ مظلوم لعدة أسباب أبرزها رغبة المؤلف في أن يكون على خارطة الكتابة بلغته، وسعيه المتعجِّل للتخلُّص من حمولةٍ ثقيلة وضعها في حِجره فترة غير قليلة من الزمن، وليس آخرها إصرارٌ ذاتي على ترسيخ الاعتراف لنفسه قبل غيره بأنه قادرٌ على خوض غمار عملية الإبداع حتى آخر محطاتها.

تسألني اليوم هل أنت راضٍ عن إصدارك الأول؟، أقول: في الظروف التي خرج بها إلى النور نعم، لكن على صعيد النتاج الأدبي ككل لا، الرواية تلك بنت ظروفها الموضوعية والمعنوية وهي ملك القارئ اليوم.

(*): كاتب وروائي سوري.

عيسى الشيخ حسن*

تأخّر كتابي الأوّل، تأخّر بعض الوقت. كان النشر مرهقًا ماديًّا، يكلّف خمسة وعشرين ألف ليرة تقريبًا (نحو ٥٠٠ دولار)، وقد تحصل على دعم من اتّحاد الكتاب، كان التفكير في النشر رفاهيّة غير متاحة لمعظم الشعراء المنحدرين من بيئات فقيرة، فعّلت في ذواتهم "تطبيق الشعر" ولم أملك حتى التفكير بدفع ربع هذا المبلغ، على أنّني استلطفت فكرة إنجاز مخطوطات مكتوبة بخطّ اليد، أصمّمها، ثمّ أضع عنوانًا وتحته اسمي، ثمّ أكتب، وكنت بهذا أعزّي نفسي، أو أعوّض الحلم البعيد، وكنت قد نجوت مبكّرًا من صخب قصيدة التفعيلة المأخوذ بنشوة نصوص درويش المحلّقة في فضاء المتعة والألم، وتتبّعت صوتًا في الداخل يأخذني إلى عوالمي الخاصّة.

كنت في الثالثة والثلاثين، وقد انصرف جلّ اهتمامي إلى أعمال "الفلاحة"، فأساعد عائلتي في البذار والسقي وتسويق الخضار، ويمكن القول إنّني كنت أعمل مدرّسًا في فراغي. ولكنّي كنت أكتب من حين إلى آخر، حين قرأت إعلان جائزة البيّاتي. كان الراحل عبد الوهّاب البيّاتي قد قضى أعوامه الأخيرة في دمشق، وهناك احتفى به أصدقاؤه ومريدوه وأعلنوا عن جائزةٍ تحمل اسمه، مخصّصة للشعراء الشباب. يومذاك انتشرت ظاهرة الجوائز الأدبيّة "سعاد الصباح– الشارقة– الناقد.. وغيرها" تحتفي بالشعر الشاب.

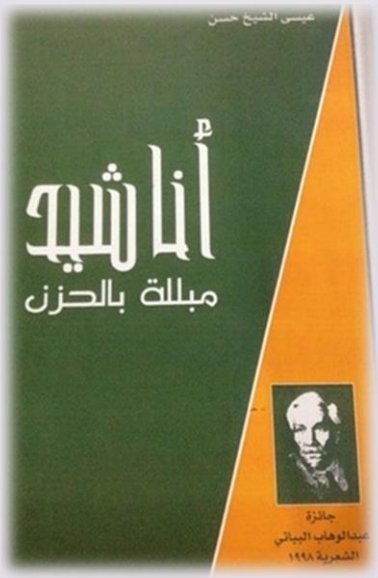

جمعت نصوصًا كتبتها في نحو عشرة أعوام، واستفتيت فيها بعض أصدقائي: "محمود الحديد- مروان كلش- صالح الشيخ" واخترت النصوص التي استحسنوها. وقبل إرساله بيوم، كتبت النصّ الأخير "بيان متأخّر" ليكون ردًّا على "بيان" مفتتح الديوان، ثمّ أسميته "أناشيد مبلّلة بالحزن ."

في السنوات التي سبقت شاغبت قليلًا في النشر، نُشر لي نصّان في جريدة تشرين، ونصّ في ملحق الثورة الثقافي، ومقطع في مجلة الكويت، وآخر في مجلة العربي في القسم التشجيعي "وتريّات"، ولم يغرِني ذلك بمغامرة النشر؛ فلا أحد ينشر الشعر مجّانًا. وكنت شاهدًا في أعوامٍ سابقة على مغامرات نشر لشعراء كثر تحمّلوا أعباء كبيرة في نشر كتبهم.

كان بريق الشعر قد بدأ يخفت، في خضمّ تحوّلات اجتماعية سياسية وثقافية تراجع فيها الهمّ الإبداعي والشعري على وجه الخصوص، ومن هذا الباب جاءت الجوائز الأدبيّة منقذًا لحالة الركود الأدبي في ربع القرن الأخير، وغير ذلك؛ فهي شهادة واضحة على جدارة الفائز بلقب الشاعر، وبنشر كتابه.

وكنت مستغرقًا في أعمال السقاية "سقي القطن" صيف ١٩٩٨، كان بئر الماء قد نشف تمامًا، واضطررنا لطلب الماء من جيراننا، نتناوب على السقي، حين جاءني محمود الحديد وأخي موسى يبشّراني بفوزي بالجائزة، وكانت واحدة من اللحظات السعيدة "العنيفة" التي مرّت بي، بوصفها قطرة ندى منعشة في حياة فلّاح يوشك أن يخسر موسمه، نعم، لقد منحني (بل منحنا) ذلك الفوز طاقة جديدة على العمل.

انتشر الخبر في الصحافة العربيّة وقدّمني إلى المشهد الأدبي خير تقديم ممكن لشاعر مغمور يكتب بعيدًا عن الصحافة والمنابر الأدبيّة، كما جاء في تقرير اللجنة" تعد المجموعة الشعرية محاولة أخرى في محاورة نشيد الانسان الخالد، الحزن بلغة بسيطة لا

تسرف في أوهام الاكتشاف، بل تنطوي على دلالات واضحة تكشف بها عن إرهاصات الروح بإيقاعات يقارب بها صوت الشاعر أصوات وأشياء العالم."

بعد أشهر قليلة، وصلتني ١٥ نسخة من الديوان، كتاب أو "كُتيّب" بتصميم بسيط ورصين، وقد كتب العنوان بخطّ مذهّب نافر. ولا أدري كم من المرّات قلّبت ورق الديوان، أقرأ النصوص التي كانت أوراقًا مبعثرة قبل أشهر، لأعيش النصوص مرّة بعد أخرى، وأستذكّر مناخات كتاباتها السالفة. ولأعيش أيضًا نشوة النجاح والفوز، في مدينة عامرة بأسماء كبيرة وكثيرة لها نصيبها من الضوء والأثر الإبداعي الواضح، ثمّ قدّمني إلى صاحب الجائزة "عبد الوهاب البيّاتي" رحمه الله، وقد التقيته مرّتين قبيل وفاته في دمشق.

ساهمت الجوائز الشعريّة تسعينات القرن الماضي، في تقديم عشرات الأسماء المغمورة إلى المشهد الأدبيّ، وأظنّ أنّها في الوقت ذاته كرّست نمطيّة شعريّة تناسب أهواء النقّاد، ولكنّ كتب تلك الجوائز يشبه إلى حدّ كبير "أفلام الجوائز" حبيسة العلب، والبعيدة عن العروض الجماهيرية، ولكنّ كلمة "فاز بجائزة ..." ظلّت تداعب غرورنا، كأننا رياضيون أحرزوا ميداليات في الألعاب الأولمبية.

ربّما كنت محظوظًا، في نشر كتابي الأوّل، وقد قدّمني الكتاب وجائزته إلى المشغل الأدبي، شاعرًا "موهوبًا"، وقد كتب عنه كثير من المقالات، كما ساعدني ذلك في النشر في كثير من الصحف العربيّة. وقد أمدّني بدفعة معنوية كلّما عرّفت بنفسي، بدايات الكتابة، وحظي كذلك بكتابات لامست أشياء كثيرة كانت خفيّة عنّي، وما زال في البال بعضٌ من أثرها كقراءة الشاعر اليمني الكبير للديوان في جريدة الثورة اليمنية، وقراءة الشاعر إبراهيم يوسف في الكفاح العربي البيروتية. والآن؛ وبعد خمسة دواوين، وروايتين، ولكلّ من هذه المؤلّفات قصّته، وغصّته، فإنّ لـ "أناشيد مبلّلة بالحزن" معزّة الولد البكر، الذي أنجبته شابًّا، وما زال حتى الآن يزاحم إخوته، على حضن أبيه.

(*):شاعر سوري مقيم في قطر.

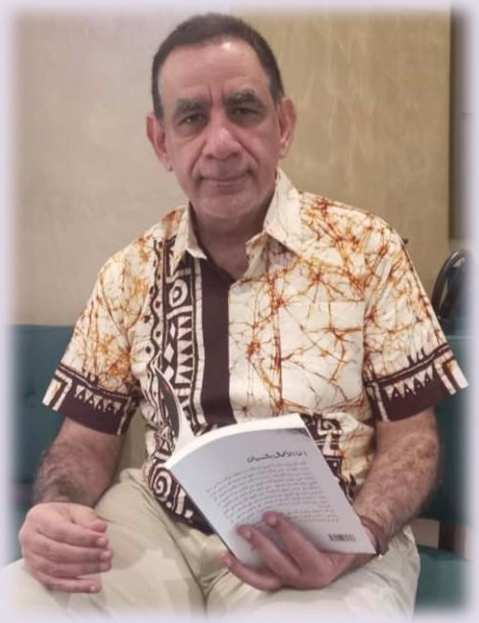

محمود الرحبي*

يحدث أن تكون مسافات زمنية واسعة بين الكتابة والنشر في كتاب. أتذكر أني نشرت قصصاً حين كنت في المرحلة الثانوية بمدرسة روي بالملحق الثقافي لجريدة عمان. وأتذكر أيضا ذات مرة أنني أنا وزملائي في الصف، وفي ظل الشغب المدرسي، قفزنا من السور لكي نستطيع أن نأكل الكيما، وهي وجبة هندية من اللحم المفروم يُقدّمها مطعم مجاور للمدرسة، ثم نعود إلى الفصل، على غفلة من العالم، وكنا نفعل ذلك في وقت الفسحة القصيرة، مستعيضين عن المقصف المدرسي الذي يتكرر فيه نوع الأكل، وكان كالعادة سندويش فلافل وسنتوب. لكن في كرّة من الكرات، ما إن قفزنا من السور أنا وزميلي إلا وفوجئنا بسيارة الشرطة تنتظرنا في الخارج. رأيت زميلي يركض فركضت، ثم اندسسنا في بناية من ثلاثة طوابق، صعدت السطح واختبأت، ولكن يد الشرطي وجدتني بسهولة.

كان المشهد رهيبا، أن أركب سيارة شرطة وكأني اقترفت جنحة! قال لنا الضابط في المركز لماذا هربتم؟ لن يحدث لكم شيء لو مكثتم مكانكم، كنا سنعيدكم إلى المدرسة، لكنه ربما لا يعلم أن في هذه العودة كانت ستنتظرنا عصا المدير، الذي بعد أن يشبعنا ضربا سيطلب منا إحضار أولياء أمورنا وهي عقوبة مركبة. أنقذتني ورقة جريدة كانت في جيبي، وعليها اسمي تحت قصة بعنوان "انبلاج الحلم عند الغسق" كتبتها بوحي من رحيل أخي الأكبر في حادث سير. لن أنسي استغراب الضابط من وجود اسمي في الجريدة. وبعد عدة أسئلة حول طبيعة قصتي طلب

الضابط من الشرطي أن يطلق سراحي لأذهب ماشياً إلى البيت في وادي عدي، ولا أعرف ماذا حدث لزميلي، الذي قررت أن أقطع علاقتي به نهائيا، مكتفيا بعد ذلك بالأكل في مقصف المدرسة.

وهكذا ظللت أكتب وأرسل القصص إلى جريدة عمان، فتجمع عدد لا بأس منها، وكان التجريب هو الخط الأكثر حضوراً يتبدى حتى على مستوى اختيار عناوين القصص من قبيل قصة "عضلات فم النائم". صديق الطفولة يحيى سلام المنذري، كان يروق له أن يضيف اسم سعيد قبل كلمة عضلات فيصير عنوان القصة بعد ذلك "سعيد عضلات فم النائم" وذلك نسبة إلى صبي جار لنا يُكنَّى بسعيد عضلات.

حين سافرت للدراسة إلى المغرب تشعبت طرق النشر، وكان منبر جريدة القدس العربي الذي كان في تلك الأيام قد برز حديثا يديره الشاعر الراحل أمجد ناصر. كان معظم الكتّاب فيه مغاربة، فصرت أنشر فيه قصصي أحيانا كل أسبوع، كما نشرت فيه سلسلة مقالات. كان أمجد يذيل ما أكتب بعبارة "كاتب عُماني يقيم بالمغرب."

بعد تخرجي وعودتي من المغرب صار من المهم أن أجمع جزءا من هذه القصص في كتاب أطلقت عليه "اللون البني" وكان من الصعب أن تجد وقتها دار نشر تطبع لك. ونتيجة لوجود الشاعر سعدي يوسف في مسقط سألني عن مشاريعي، حيث كان يتابعني من خلال جريدة القدس العربي، فقلت: لدي حزمة قصص ولا أجد مكانا أطبعها فيه. قال: أنا ذاهب إلى دمشق وسأخبر مسؤول دار المدى التي لم يمض على نشأتها سوى عام أو عامين. أُرسلتْ النسخ في صندوق كرتوني إلى عنوان بريدنا في مطرح وجاء أبي مرة يحمل ذلك الصندوق، حين فتحته تفاجأت فرحاً بالإصدار الأول.

(*): كاتب وقاص عُماني.

د. سوسن جميل حسن*

دائماً ما يرضخ الكاتب لشروط دار النشر في عمله الأوّل، وغالباً ما تستغل دور النشر هذه النقطة، فهي تعرف مدى حاجة الكاتب لنشر عمله، وحجم الأحلام التي يبنيها على ظهوره الأول، أو ظهور كتاب يُشهر اسمه، لذلك غالبًا ما يقع الكاتب تحت ضغط هذه الشروط الصعبة، ويرضى في أن يدفع تكاليف النشر، يمنحه الناشر عددًا من النسخ لقاء هذا المبلغ، عليه هو التكفّل بها، وغالبًا ما تذهب على شكل إهداءات من دون تمييز بين من يقدّر القراءة ومن لا يقدّرها، وأحيانًا يمكن أن يبقى عدد من النسخ مكدّسًا في وجهه ليتراكم عليها الغبار، وتصير عبئًا عليه، وربّما يعود إليها لاحقًا، فيما لو استمرّت تجربته في الكتابة وصار لديه رصيد من الأعمال المنشورة، وانتقل اسمه من كاتب ناشئ ومغمور، إلى كاتب لديه "سوابق" في عالم الأدب والكتابة، ويجادل نفسه حول عمله الأول، تعتريه مشاعر متناقضة، بين الرضا وعدم الرضا. يمكن القول إن الكاتب غالبًا ما يشتري كتابه الأوّل.

بالنسبة لي، أتيت إلى عالم الكتابة متأخرة قليلًا، بعدما استهلكت مهنة الطب شطرًا كبيرًا من عمري ووقتي، لكن كان لا بدّ من العمل الأول في النهاية، لا أستطيع القول إنني تنقّلت بين دور نشر عديدة لأعرض عليها روايتي الأولى، فأنا توجّهت مباشرة إلى ناشر واحد، وطلبت النشر عنده، من دون السؤال عن تفصيلات، أو مناقشة ما عُرض عليّ، لم يكن لدي خبرة في الأمر، ولم أبحث لأعرف إن كان هناك طرق أخرى، أو أساليب أخرى للتعامل مع الكتّاب، خاصّة المبتدئين، دفعت يومها ما طُلب مني، كلفة الطباعة وفوقها كلفة تصميم الغلاف، وانتظرت بفارغ الصبر صدور روايتي، التي لم تتأخر.

بعد قراءة المخطوط، وجّه لي الناشر بعض الملاحظات، وقمت بالتعديل مثلما طلب مني، وأرسلته مرة أخرى، فطبع كما هو، كان لدي ملاحظات بعد صدور الكتاب، أهمّها أن هناك أخطاء في التنضيد بالدرجة الأولى، فالنصّ طُبع كما أرسلته، لذلك اعتورته بعض الاختلالات التي ولّدت لدي شيئًا من الحزن والإحباط، فلقد تعارضت مع أحلامي عن "مثالية" عملي، غالبًا ما يشعر الكاتب، في كتابه الأول، أن ما أنتجه يرقى إلى درجة الفرادة والتميز، وهذا فعلًا ما كنت أشعر به، هذا أمر مفهوم في رأيي، فالعلاقة مع الكتاب الأول يحكمها حدّ كبير من العاطفة، هو مثل الطفل الأول بالنسبة للأبوين، وللأم تحديدًا، فهي ستحب وليدها، مهما كان عليه، حتى لو كان لديه خلل ظاهر.

بعد صدور كتابي، رحت أتابع الأخبار عنه، مثلما لو أنه حدث الساعة، أتصفّح الجرائد، المحلية في الدرجة الأولى، لأتسقّط أخبارًا تشي باهتمام به، وأنا لا أعرف شيئًا عن الوسط الثقافي أو الإعلامي، فالميدان الذي أتيت منه، ميدان الطب، بعيد عن هذه القضايا، لكنني فرحت أن هناك ثلاث مقالات كتبت عنه لاحقًا، تبين لي أن اثنين منها كانا بتزكية من الناشر، وليس بسبب اهتمام الصحافة بكتابي، إنما يمكنني القول أن هذا نفحني بمشاعر جميلة، وشجّعني في المضي بكتابة روايتي الثانية.

لكن الأمر الذي أربكني، وكنت حينها لا أفهم كثيرًا عن عالم الأنترنت والفضاء الرقمي، أنني، وبينما أتصفح المواقع بحثًا عن أخبار عن روايتي، لفتني أن هناك فنّانة تتميز بأسلوب شعبي في الغناء، تحمل اسمي نفسه، ولها ألبومات غنائية ومتابعون كثر، أربكني الأمر حينها، وفكّرت أن خلطًا ما سيحصل بيني وبينها على المواقع، بينما أريد لتجربتي في عالم الأدب أن تكون مميزة، من دون أن أملك الأسباب الوجيهة، لذلك ذهبت إلى الناشر وعرضت مشكلتي عليه، كنتُ أراها مشكلة بالفعل وأتهيّب منها، تفهّم حالتي وأعاد طباعة الدفعة الثانية من الكتاب، بعد تغيير غلافه بالكامل، وكتابة اسمي الثلاثي عليه، مثلما طلبت منه، معتبرة أن هذا سيميّزني. اليوم أضحك من نفسي على هذه الطريقة التي واجهت فيها بداية دخول عالم الكتابة ونشر أعمالي.

(*): كاتبة وروائية وطبيبة سوريّة، تقيم في ألمانيا.

عبدالرزّاق الربيعي*

رغم أني نشرتُ كتابين للأطفال (وطن جميل ١٩٨٣) و(نجمة الليالي ١٩٨٦) وكنت قد دخلت العقد الثاني من عمري، خلال عملي بدار ثقافة الأطفال، وتوجّهي للكتابة للطفل، فقامت بطباعته وتوزيعه، داخل وخارج العراق، وكفى الله الشعراء متاعب الطباعة والتوزيع! وكانت تطبع من كل كتاب خمسين ألف نسخة بالألوان وعلى ورق صقيل، أقول: رغم ذلك أعتبر كتابي الأوّل هو ديواني "إلحاقا بالموت السابق" الصادر عام ١٩٨٦ لولادته المتعسّرة، وارتباطه بذكريات عزيزة على قلبي، وكنت متردّدا بطباعته، لأنني حتّى العشرين من عمري، أتهيّب نشر الشعر، فكيف الحال في جمعه، بين دفّتي كتاب، ونشره على الملأ، رغم إنني كنت أنشر بين حين وآخر نصوصاً في مجلات ثقافية كـ(الطليعة الأدبية)، و(الأقلام)، وصحيفة (الجمهوريّة) امتثالا لرغبات أصدقاء، ومن بينهم الشاعر عدنان الصائغ الذي رفع السقف عاليا، وطلب منّي نشر ديواني الأوّل، فلم أخذ الأمر بجدّيّة، وكرّره، وذات يوم، وكنّا في عام ١٩٨٦م سألني: ما أخبار ديوانك؟ قلت له: لِمَ العجلة؟ ما يزال الوقت أمامنا للإقدام على هذه الخطوة، فانزعج من ردّي وقال :"عليك أن تصدره خلال ستة شهور، وإلّا قطعت علاقتي بك"، وأقسم بأغلظ الأيمان على ذلك، عندها وجدت لا مفرّ من ذلك، وجمعت نصوصي، في ديوان أسميته "إلحاقا بالموت السابق" وكانت بيانات الحرب الدائرة في جبهات القتال على الحدود العراقية الإيرانية تحمل أنباء الموت، وكنت أستعد للتخرج من الجامعة، والالتحاق بالخدمة العسكرية الإلزامية، وكان من الطبيعي أن تلقي تلك الأنباء ظلالها على قصائد الديوان، بدءا من

العنوان، والغلاف الأول الذي استعنت بلوحة كولاج لجسد مقطوع الرأس والرقبة متفحمة وكانت للفنانة (نضال الأغا) وبحوزة الفنان الراحل د. ماهود أحمد، وكان قد عرض عليّ عددا من لوحاته، لكنني أعجبت بهذه اللوحة، فقال هذه ليست لي، بل لنضال الأغا ومادامت قد أعجبتك خذها وسأبلغ الفنانة نضال.

والعتبة الأولى التي اخترتها للكاتب الألماني بريخت ولها دلالة في تلك الظروف:

(أنتم يا من ستظهرون بعد الطوفان
الذي غرقنا فيه
اذكروا....
حين تتحدثون عن ضعفنا
الزمن الأسود الذي نجوتم منه).

وحين انتهيت من كل ذلك عرضته على الأستاذ الشاعر الراحل عبدالرزّاق عبدالواحد، قرأه، وشجعني كثيرا على طباعته، وتتويجا لذلك الحماس كتب كلمة وضعتها مقدمة للديوان بخط يده، وكان جميلا، وتلك الكلمة حملت عنوان (خواطر عن عبد الرزاق الربيعي) وجاء فيها:

–مثقلٌ بحنظل الحزن، وعناقيد الدموع
هذا الفتى المسكون بالخجل وبالفجيعة...
–عرفته منذ كان صبيّاً يشفق على القلم من ارتعاش
أصابعه
وها هو

...

...

يشفق القلم عليه فرط ارتعاش أصابعه

–يكون في منتهى الحزن حين لا يتاح له أن يحزن، ولهذا تجده مخلصاً لحزنه حدَّ التجني على نفسه حيناً، وعلى ما يكتبه أحياناً

–حتى قصائد الأطفال التي كان يكتبها، كانت تطير بأجنحة أبداً ترفرف لتنفض عنها الدموع...

–منذ أول يومٍ رأيته.. وكان مرتبكاً مثل طفلٍ مذنب– أنبل ما في عبد الرزاق الربيعي أنه ما زال مرتبكاً مثل طفلٍ مذنب.. خصوصاً إذا أطيل النظر إليه!. أحسست أنَّ هذا الفتى النحيل سيشتعل عودهُ بالشعر، لينير فتيل الشعر أكثر الأنساغ اتقاداً في سيمائه وفي سلوكه.

–تضيء عيناه حين يفرح

ويضيء جميعه حين يحب

وينطفئ تماما حين يغضب

–وفي أقسى لحظات الغضب

يكتب أكثر قصائده حزناً

–ممتلئٌ بالحب...

يسلم حبَّه كلَّ أعنتّه

ويصبح في مهَّبهِ مثل طفلٍ أخرق

يكسر القلب

لفرط صدقهِ

ولفرط إخلاصهِ

–ليس أكثر منه اندهاشاً

لا سيّما حين يُجرح بشكلٍ مفاجئ

ينعقد لسانه

وفي لحظةٍ

يهرم..

ولكنَّ قلمه يصبح لحظتها أبلغ ما يكون

–أنا أعلم أن أقدام عبد الرزاق الربيعي ما تزال من أكثر الأقدام قلقاً...

وأن هواجسه

من أكثر الهواجس يقظةً

ولكنني أعلم أيضاً

أنه شديد الحذر على خطاه

شديد الانتباه لأوجاعه

حتى صرت أخشى عليه أن يصبح الحزن عنده

عادةً... والتوجس إدماناً

وأن يغدو عذابه تعذيباً

وتطّهره تطّيراً

وعندئذٍ لا أجد لحروفه هذه الأجنحة· ومع ذلك،

فما بين يدي القارئ الآن من عبدالرزاق الربيعي،

لم أعنِ إلا القليل منه في هذه الخواطر...

الذي عنيته طيَّ الغيب

ولكنه غيبٌ ليس ببعيد...

عبد الرزاق عبد الواحد

بغداد في ١٩٨٦/١١/٥

ثم قدّمته لوزارة الإعلام للحصول على موافقة الرقابة، وأجيز بعد حوالي أسبوعين، بدون ملاحظات، وبعد ذلك، بدأت عملية البحث عن دار نشر، وكان لابد من طباعته

على نفقتي الخاصة، ولم تكن تسمح لي الظروف، ومازلت في الجامعة على وشك التخرّج، فركنته جانباً، وفي تلك الأيام كنت مع صديقي عدنان الصائغ نتردد على مطبعة عشتار، التي طبعت له ديوانه الثاني "أغنيات على جسر الكوفة" ضمن منشورات الشاعرة آمال الزهاوي، وذات يوم عرّفني على الشاعرة آمال الزهاوي وزوجها عداي النجم رحمهما الله، وتكررت لقاءاتنا، بعد أن طبعت الشاعرة دنيا ميخائيل ديوانها الأول (نزيف البحر) على نفقتها الخاصة، وكذلك الشاعرة أمل الجبوري التي نشرت ديوانها (خمر الجراح)، وفي أحد اللقاءات، سألني النجم إن كنت قد جمعت نصوصي في ديوان، فقلت له: نعم، فطلبه مني، وفي اليوم التالي أخبرني إنه أعجب بما قرأ، وسيطبعه على حساب الدار، وسيزوّدني بمائة نسخة منه، فرحّبت بالعرض، واستعنت بالصديق د. فلاح الخطاط لكتابة العنوان، وكذلك النص الذي اخترته للغلاف الأخير، بخط يده، ففعل، واستعنت بلوحات داخلية رسمها الصديق مجيد الساعدي، من وحي النصوص، وبعد أسابيع قليلة استلمت النسخة الأولى، وأذكر أننا ذهبنا بمعية الشاعر الكبير عبدالرزاق عبدالواحد، والأصدقاء والصديقات: عدنان الصائغ وأمل الجبوري، ودنيا ميخائيل والفنانة الراحلة غادة حبيب إلى شارع (أبي نواس) واحتفلنا بالمناسبة في أحد المطاعم، وكان الأكثر سعادة الصديق الشاعر عدنان الصائغ لأن تهديده جلب نتيجة إيجابية، ففور صدوره، كتب عنه الشاعر الراحل هادي الربيعي مقالا، وقع بين يدي الشاعر الراحل رشدي العامل، فطلب نسخة من الصائغ، فزوّدته بها، وكان ينوي الكتابة عنه لولا أنه انزعج من إدراج مقدمة الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد، وعاتبني بشدّة، ربما لخلاف آيديولوجي بينهما، ووعدني بالكتابة عنه، بعد أن يهدأ غضبه، كذلك كتب عنه الشاعر الراحل كمال سبتي، لكن المقال فُقد في طريقه للمطبعة فغضب وأوقف نشر مقالاته في تلك الأيام، وتلقّيت أصداء مشجّعة، أعقبها سؤال: متى ستصدر ديوانك الثاني؟

وهكذا واصلت عجلة النشر دورانها إلى اليوم.

(*): شاعر وكاتب وصحفي عراقي، يقيم في سلطنة عُمان.

عبد اللطيف الوراري*

ديواني الأوّل

أو الوعد تحت طائلة الأحزان..

منذ أن تفتّقتْ ملكتي وشرعتُ في نَظْم الشِّعر، وأنا دون العشرين من عمري، كنتُ أحلم أن يصدر. ديوانٌ لي مدبوغاً بحرّ أنفاسي، وعليه صورتي واسمي، إسوة بالشعراء الحديثين الذين بدأتُ أقرأ لهم. كُلّما تأخّر الحلم عن التحقُّق، عاماً بعد عام، مثّل ذلك بالنسبة لي حافزاً للإصغاء إلى يفاعة تجربتي وتطويرها باستمرار، مثلما مثّل توُّرطاً، قاسياً وغير مفهوم، في الشعر الذي يُنادي عليك من أمكنة بعيدة. كان الحلم، في أحيان كثيرة، يتحوّل إلى يوتوبيا، ولاسيما في بلدٍ لا مكان فيه للشعر والشعراء تحت الشمس، مثل المغرب. والّذي أذكره، قبل أن يُطبع كتابي الأوّل، أنّ هناك مشاريع كتب دالّة كنتُ أصمّمها بنفسي وأضع أغلفتها وعناوينها بمناسبة أو بدونها، ثُمّ سرعان ما ضاعت منّي إلى الأبد. كان ديوان ‘عرائس الصبا’ الذي جمعتُه وأنا طالب في الثانوية، هو كتابي الأوّل حقّاً؛ ففيه آثارٌ مجروحةٌ بأنفاس حبّي الأوّل، ومتاع ذاتي الشحيح، ودهشتي الأولى بالأشياء والعالم، كما نثرتُها في قصائد وجدانية وعاطفية، منظومة بين شكلي القريض والموشّح. كان مجمل هذه القصائد قد أُذيع في برنامج ‘مع ناشئة الأدب’ الشعري. لكن هذا الديوان الذي هيّأْتُه للطبع، وأرسلْتُه إلى البرنامج بعدما سمعْتُ . أنا وآخرون . وَعْداً بذلك من مُعدِّه الشاعر وجيه فهمي صلاح، لم يكن إلّا حلماً في الكرى، ولا أعرف أين هو الآن؟

هكذا، بعد عقد ونصف من ملازمتي الشِّعر وعذابه، وبعدما لم يتحقّق الوعد من أيّ جهةٍ، ظهر كتابي الأوّل مطبوعاً على نفقتي الخاصّة التي دبّرتُها بِدَيْنٍ مع شقّ النفس، في أواخر العام ٢٠٠٥. كان عنوان الديوان في بادئ الأمر هو ‘فراديس العزلة’، ثُمّ استقرّ رأيي، بمشورة صديقي الكاتب محمد بازي، على عنوان أكثر دلالةً: ‘لماذا أشْهَدْتِ عليّ وعد السحاب؟’. بعد الطبع، بدأت قصّة توزيعي للديوان، بغلافه الأبيض الذي تخترقه صورة تجريديّة لصديقي الرسام محمد حستي،

من مكتبة إلى أخرى، ومن كشك إلى آخر؛ ولمّا كان أصحابها يعلمون أنّي أحمل إليهم شعراً، يرفضون استلام النُّسخ منّي، أو يأخذون أقلّها بمضض، تحت نظرات الفضوليّين المشفقة، بذريعة أنّ الشعر بضاعة كاسدة.

لقد آلمني أن أسمع مثل هذا الكلام أكثر من مرّة بما يشبه إجماعاً. ساعاتٌ طويلةٌ قضيْتَها في الشعر وعلى حوافّه تبدو لك كأنّها هباء. وُوجِهْتُ بمثل هذا السؤال: هل أستمرّ في الكتابة أم أنقطع عنها إلى شأنٍ آخر؟ . لكن سرعان ما انفتح أمام عينيّ أفقٌ مثل هِبة، حيث وجدْتُ نفسي، داخل الثانوية التي أعمل بها، مُحاطاً بِتلقائيّة تلامذتي ودهشة عيونهم المُشعّة وانطباعاتهم العفويّة عن ديواني الذي ناقشوني في لغته وفضاءاته، وأثارهم ما وجدوا فيه من حزن، فتأثّروا بذلك جميعاً. صار الشعر، من هذه اللحظة بالذّات، التزاماً إنسانياً لا رجعة عنه. وأمّا الذين قرأوا الكتاب، من أصدقاء ونقّاد، فقد أثارهم تصميم الكتاب، ولغته، وغموضه المُشْبع بالرمز والخيال، مثلما بالجوع والخيبات. لكن أنّى لهم أن يعرفوا أنّ "وعد السحاب" لم يكن، في حقيقة الأمر، كتابي الأوّل، بل كان استئنافاً للوعد باللُّغة ومعنى الذّات. ضمّ الديوان بين دفّتيه حوالي أربعة وعشرين نصّاً شعريّاً متفاوت الطّول. كانت النصوص التي اخترتُها كُتِبتْ في خضمّ السنين الخمس الماضية، ونُقّحتْ ورُتّبتْ في خريف ٢٠٠٥م، وهي تنتسب إلى شعر التفعيلة وقصيدة النثر معاً. وممّا جاء في كلمة صديقي الناقد رشيد يحياوي على ظهر الغلاف: «تفتح اللغة في هذا العمل موطنها لمأساة عارية (...) وكأس الشاعر راودتها الطريق نحو آبار المعنى». صحيح، لقد أهرقْتُ في الديوان حبراً عن ملامح من سيرتي الحزينة عبر ذاتٍ تعيش تجربة العبور في ترحالها بين الأمكنة الهاربة، بمقدار ما عمّقتُ فيها ملامح من شعريّتي الخاصة.

بعد سبعة عشر عاماً من ذلك التاريخ، فإنّ الذي تبقّى لي من ديواني الأوّل هو ذلك الوعد لا يزال يُنْبئ به ويتطلّبه منّي باستمرار. وعد السحاب. ليس السحاب حيث مكمن الماء والضوء إلّا الأمل من نقطة التماسّ تلك، بين ما كان وما سيكون، وهو ما يجعل المعنى في رؤيتي إلى الذات والعالم يتشكّلُ مُعانياً دبيب الأدخنة من كلّ مكان.

(*): شاعر وناقد من المغرب.

د. هيفاء بيطار*

بداية من المهم أن أذكر أن دراسة الطب البشري والاختصاص في طب العيون قد استنزفا كل وقتي، رغم أن روحي كانت تتوق بشغف للكتابة. ومن وقت لآخر كنت أكتب خواطر حين قرأها أبي (الرحمة لروحه) وهو أستاذ لغة عربية مثقف ومرموق قال لي أن ما كتبته من خواطر هي قصص قصيرة جميلة، حتى أنه وضع عنواناً لإحدى قصصي (بكاء بلا دموع). ملاحظة أبي فجرت في روحي هوى الكتابة ومغامرة النشر، وفي ذلك الوقت ١٩٩٠– وأنا أعيش في اللاذقية– ومنهمكة في تأسيس عيادتي الخاصة قررت طباعة القصص التي كتبتها، وهي قصص واقعية عن حالات إنسانية عشت معها عمق معاناتها ومشاعرها الإنسانية، مثل الطفلة (شيرين ابنة حلب الشهباء وعمرها ثماني سنوات كانت مصابة بسرطان في عينيها) لا أستطيع أن أحكي عن كتابي الأول دون أن أنحني لشيرين التي ربطتني بها علاقة إنسانية رائعة وكتبت عنها قصة (بكاء بلا دموع) بعد أن خضعت لعملية استئصال لعينيها.

لم تكن لدي أيه فكرة عن طريقة نشر كتاب، وكانت معرفتي بدور النشر شبه معدومة، وكنت أسأل الأصدقاء والمعارف: كيف سأنشر قصصي أي كتابي الأول؟ معظمهم كان يُجيب بسخرية لا تخفى: هل ستنشرين كتاباً أدبياً وأنت طبيبة عيون!!! هل

يعني أنك تنوين احتراف الكتابة؟ كانوا يُشعرونني بأنني قادمة من عالم آخر أي خارج عالم الكتابة، كأن لا تقاطع بين الطب والكتابة، لكن كنت متحمسة جداً لطباعة قصصي (حوالي ١٥ قصة) ووضعت عنواناً لكتابي (ورود لن تموت). في ذلك الوقت لم يكن هناك أنترنيت ولا موبايل، ووجدت نفسي محصورة في دائرة اللاذقية الضيقة والبعض نصحني بدار المنارة في اللاذقية التي سبق وطبعت كتاباً للباحث المثقف جبرائيل سعادة وكان أبي يدقق له كتبه لغوياً. قصدت دار المنارة في اللاذقية أحمل كنزي (قصصي) وقالوا لي بأنهم في أزمة مالية وأن علي أن أدفع تكاليف الطباعة، ورغم أنني كنت في ضيق مادي لأنني أؤسس عيادتي العينية فقد وافقت، لم تكن لدي أيه فكرة عن الأسعار وولد كتابي الأول قصص (ورود لن تموت) ولادة مشوهة جداً، الورق كأنه ورق جرائد، الصفحات تشف أي يظهر خيال الكلمات في الصفحات التالية، انعدام تام للأناقة في نشر القصص، غلاف رديء وكانت الكلفة خمسة وأربعين ألف ليرة سورية (كان سعر الدولار وقتها أقل من أربعين ليرة!!!(

أذكر أنني اضطررت وقتها أن أبيع تلفزيوناً صعيراً كان في عيادتي، ولم أدقق في كمية الكتب التي طبعتها دار المنارة في اللاذقية، استلمت حوالي ٣٠٠ كتاب، وبقية الكتب (التي ادعت الدار أنها ألف كتاب) لم توزعها إطلاقاً على المكتبات ولم تنشر دعاية لكتابي حتى في جريدة الوحدة السورية. تجربة مريرة جداً واستغلال مادي كبير، لكنني كنت جاهلة تماماً بكل ما يتعلق بالنشر وكان شغفي كبيراً أن أكون كاتبة وأن أطبع قصصي. الإحباط الذي أحسسته كان كبيراً جداً، وآلمني الاستغلال المادي الكبير الذي خضعت له –أنا التي كنت ساذجة واعتقدت أن كل من يتعامل بالكتاب قمة في النزاهة والأخلاق– العديد من قصص كتابي الأول (الرديء طباعةً وبشكل كبير) أعدت نشرها في مجموعات قصصية لاحقة.

لكن في قرارة نفسي أحب أن أعتبر أن كتابي الأول كان رواية (يوميات مُطلقة) الذي طبعه لي ناشر أكن له كل التقدير والمحبة الأستاذ حسين العودات، وطبعاً دفعت كلفة الطباعة –كان المبلغ معقولاً، وصدر الكتاب بشكل أنيق ونفدت الطبعة الأولى (ألف نسخة في أقل من شهر). فيما بعد وخاصة بعد حصولي على جائزة أبي القاسم الشابي في تونس عن مجموعتي القصصية (الساقطة) التي طبعها الأستاذ رياض الريس، فتحت كل دور النشر أبوابها لي وقبلت أن تطبع كتبي دون أن أدفع بل يكون لي نسبة مالية من المبيعات. وطبعت في دار رياض الريس ودار النهار ودار الساقي والدار العربية للعلوم وأعيدت طباعة كتبي مرات عديدة، وطبعت روايتي امرأة من طابقين في القاهرة.

ما أريد قوله أن الكاتب في عالمنا العربي يُعاني كثيراً مادياً ومعنوياً، وأن عليه أن يدفع تكاليف طباعة كتابه وخاصة أن الأوضاع المعيشية للمواطن العربي بائسة ولا تسمح له بشراء الكتب لذا انتعشت قرصنة الكتب. وكل كُتبي مُقرصنة.

لكن أحب أن أقول للكتاب الشباب ألا يتخلوا عن أحلامهم، فالسعادة الحقيقية هي في تحقيق الذات، وكل سعادتي كانت في الكتابة، ولحسن الحظ حدث تزاوج ناجح جداً بين الطب والكتابة حيث كتبت عشرات القصص القصيرة من وحي عملي الطبي في المشفى الوطني في اللاذقية، وكتبت روايتين من وحي عملي الطبي هما (نسر بجناح وحيد) وروايتي (هوى) التي تحولت إلى فيلم سينمائي بعد أن اشترتها المؤسسة العامة للسينما في سوريا.

أؤمن أن الأحلام تتحقق بالإرادة والشغف.

(*): كاتبة سورية تقيم في باريس.

د. علي جعفر العلاق

أخبرني الصديق الروائي إسماعيل فهد إسماعيل، وكان في زيارة قصيرة لبغداد عام ١٩٧١ على ما أذكر، إنه سيذهب إلى بيروت بعد أسبوع. وكان لديّ مجموعة من القصائد المنشورة في عدد من الجرائد والمجلات العراقية، كتبتها في الفترة ١٩٦٩–١٩٧١. وكنت قد جمعتها، مع زميلة عزيزة عليّ، كانت، وما تزال، مولعة بشعري. وقد تأخرت المجموعة عند دار العودة، أكثر من سنتين تقريباً، قبل أن تظهر، عام ١٩٧٣ في طبعة تفتقر إلى الدقة.

بعد فترة قصيرة من اتصالي به، فاجأني الفنان ضياء العزاوي بلوحة جميلة لغلاف المجموعة.

فرحت بلوحته كثيراً، مساحة ذهبية كأنها حقل من حنطة يدنو من حصاده الأخير. وفي الجزء الأسفل من اللوحة، عناق حميم بين مساحات لونية عديدة تتفاوت في انتظامها وسعتها، وتتشكل من الأخضر، والأحمر، والأبيض، والأسود بطريقة لافتة. وكان هناك خط أسود يخترق المساحة الذهبية عمودياً حتي حافتها العليا، وعلى يمينه وردة حمراء.

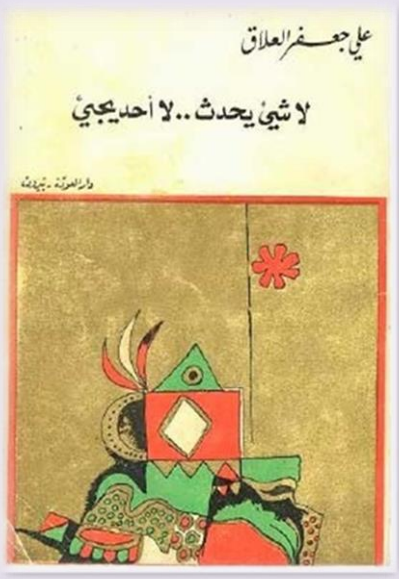

شارك في غلاف مجموعتي الأولى، أربعة من أجمل الأصدقاء وأكثرهم رهافة: اللوحة للفنان ضياء العزاوي. وتصميم الغلاف وخط العنوان للشاعر صادق الصائغ، وقام الشاعر محمد سعيد الصكار بخط عناوين القصائد بطريقته الرشيقة. أما الغلاف الخلفي فقد حمل مقطعاً جميلاً وشديد الدلالة من كلمة للشاعر فوزي كريم.

وصلتني حصتي من النسخ إلى بغداد. وكان فرحي بها كبيراً. ردة فعل طبيعية، وشديدة الصدق لكل من يرى مشاعره وتخيلاته وأوهامه تتنفس على الورق. بعد ساعات لم يكن المولود معافى تماما. جملة من الأخطاء المطبعية، وقد انعكس ذلك على لقائي بصاحب دار العودة خلال زيارتي لبيروت.

وحين أقدمت على إرسال مجموعتي تلك للنشر، كان الشاعر وديوانه الأول ينصهران في فاعلية شعرية أولى، أو كأنهما كذلك، يبنيان الضفة الأولى لنهر الكلام، الذي سيتضاعف، ويتعقد، وترتفع مناسيبه، مجموعة بعد أخرى.

ربما بدت مجموعة «لا شيء يحدث.. لا أحد يجيء»، وكأنها محاولةٌ للتعامل، بطريقةٍ خاصة، مع اللغة والصورة والايقاع. أو مغامرة دفعت بي إلى الظن، واهماً أو عن ثقة مشكوك فيها، أن باستطاعتي أن أربك إيقاع الموج الشعري. ولم يكن أيضاً مبالغة في تقدير الصورة الشعرية في حد ذاتها. بل كان وليد رغبة مشوبة بقدر لا بأس به من الوعي الغائم أحياناً. تمكنت مني، منذ البداية، رغبةٌ ملحّةٌ في أن أكون مختلفاً عن جيلي.

كانت اللغة شاغلي الأول في تلك المجموعة، حتى أنني كنت أبالغ أحياناً في العناية بها، وتنقيتها من حَسَكِ الطريق وما يتساقط من ثياب المارة. ولأنني شديد النفور من الثرثرة الشعرية والتعبير المطوّل، حدّ التخمة، عن معنىً ما، كنت أتمادى في العمل أحياناً على أن يكون النصّ الذي أكتبه موجزاً أو خالياً إلى أقصى حد ممكن، من النتوءات والاستطالات والباروكات اللغوية الفائضة عن الحاجة.

وحتى هذه اللحظة لا أجد مبتغاي في القصيدة التي تهرول إلى معناها مباشرة، دون جهدٍ يضبّب المعنى ويخفف من ملامحه الحادة.. وقد أشار فوزي كريم، في كلمته الملحقة بالديوان، إلى هذا المنحى حين قال إن «العلاق مولد صور بارع، لا يلتفت إلى الآخرين، بل يعيد الصياغة لتكون اللغةُ أكثر براءةً وأشدّ بدائية». وكانت غرابة الصور أحياناً أو عبثيتها لا تحتاج الى جهد كبير لاكتشافها:

–رحيلكِ طيرٌ من القشِّ يقتادُني

صوبَ أرضِ البكاءْ..

–بكائيَ شيخٌ من الحبرِ

في جبهتي يستريحُ..

–يختبئءُ الحنينُ تحت جفنيْ

جزيرةً من جثث النعاسْ

أمدُّ كفّيْ نافضاً عن صوتكِ الماءَ

وعن شفاهكِ الأجراسْ..

ولم تكن تخلو حتى تجاربي في القصيدة العمودية من هذه المغالاة في الصورة والإيقاع خصلة في معظم ما كتبت من قصائد في تلك الفترة المبكرة:

–حقائبي حطبٌ يبكي، وحنجرتي

سفينةٌ شبَّ في أعشابها الصدأُ..

وكنت أرى أن الإيقاع كان وسيظل، ولكن بدوافع جماليةٍ ودلاليةٍ جديدة، مكوناً شعرياً مُهمّاً. وقد حاولت، في هذه المجموعة، عرقلةَ بعض الأوزان الشعرية وتهدئة لهاثها المتسارع. ولم أكن أبالي أحياناً حتى بارتكاب بعض الوقفات الوزنية من أجل تحقيق هذا الغرض.

دخلتُ بمجموعتي الأولى تلك، إلى مشهدٍ شعريٍّ صاخب، دخولَ اليتيم الذاهل، إلى سوق يضج بالباعة الفرحين بما لديهم. قبائل أيدولوجية تتصايح على بعضها بعضاً. وتعرض بضاعتها بإغراءات مدروسة بعناية. كان هناك شعراء موهوبون حقاً، وشعراء أقلّ موهبة لكنهم أكثر ذكاءً. أما البعض الآخر، فشعراء دفعتهم إلى الواجهة رافعاتٌ نقديةٌ مؤدلجةٌ، تحتفي باليقين الماركسيّ أو القوميّ.

ومع أنني لم أجد، في بغداد، مثلاً، إلاّ تغطياتٍ صحفيةً عابرة لهذه المجموعة، لم يتملكني شعور المحبط، بل أحساس المجروح في اعتداده بذاته. وفي الوقت الذي لم تجد القبائل الأيدولوجية ضالتها السياسية أو الفكرية في مجموعة تنتمي إلى نبرتها الفردية بقوة، كان الروائي المغربي محمد شكري يحتفي بها، في جريدة المحرر المغربية، بحماسة استثنائية : "صادمةٌ جِدّةُ هذا الشعر."

يمكنني القول ربما إن مجموعة "لا شيء يحدث.. لا أحد يجيء" كانت تمريناً شعرياً جريئاً، أمدّني بالكثير من الافتتان الطفوليّ باللغة والإيقاع. وكان فيها من الصور ما يندرج في غرابة تعبيرية أجدها، آنذاك، عامرةً بالترف اللغويّ والذهاب إلى المعنى بطرق شديدة التخفّي.

(*): شاعر وناقد عراقي مقيم في أبو ظبي.

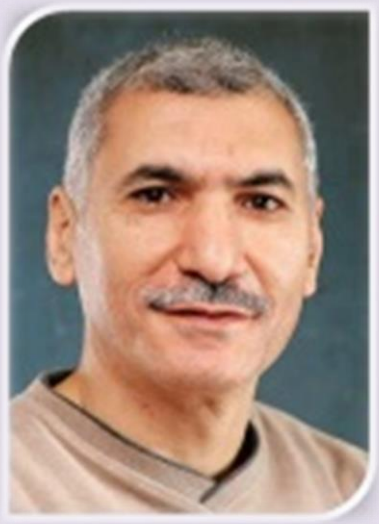

شريف صالح*

هناك مرحلة تكتب فيها لأصدقائك.. ولأعضاء نادي الأدب القريب منك، فيقولون لك: "جميل.. كمّل". عبارات التشجيع تخفف عنك وطأة ثلاثة أسئلة تشغل عقل كل كاتب في بداياته: هل أنا موهوب أم لا؟ هل ما أكتبه يضيف إلى ما كتبه أدباء كبار مثل تشيخوف ويوسف إدريس ونجيب محفوظ؟ ولمن أكتب؟

أسئلة مهمة ويترتب عليها أن تكمل مشوارك أم تنسحب وتكتفي بمهنة ما. خصوصًا أن الكتابة في العالم العربي . احترافًا وهواية معًا . هي فعل ميئوس منه.

حاولت أن أحصل على إجابة عن أسئلتي الثلاثة من أصدقائي ومن نادي الأدب. لكن لم أهتم بنشر قصصي الأولى . وكما هو رائج آنذاك . في الصحف والمجلات. كنتُ أكثر كسلًا في "المراسلة."

في مرحلة ثانية عندما التحقت بكلية دار العلوم وحسمتُ قراري أنني أرغب أن أكون كاتب قصة قصيرة أولًا وأخيرًا، بدأت المشاركة في كل المسابقات التي أسمع عنها ونلت جوائز تجعلني محظوظًا، منها أفضل كاتب قصة قصيرة لثلاث سنوات متتالية من كليتي الأدبية العتيدة، وكذلك أفضل قصة على مستوى جامعات مصر.

اكتفيت بالمسابقات لبضع سنوات، وغالبًا لا تنشر النصوص بل كانت تضيع مني. وبعدما فزت في أكثر من مسابقة على مستوى الجمهورية مثل نادي القصة وجائزة هيئة قصور الثقافة ومسابقة اقرأ.. افترضتُ . وهو افتراض خاطئ . أنني أصبحتُ كاتبًا محترفًا. ومن حقي أن أحظى باعتراف وتنشر نصوصي تلقائيًا. غلبني هذا الوهم بأن العالم ينتظر إبداعاتي!

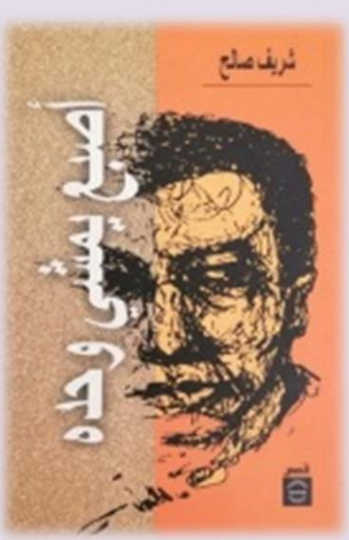

واكتشفت أن النشر في مصر متاح عبر مسارين: إما انتظار دورك مع تزكية من أحدهم للنشر في سلاسل حكومية بائسة الطباعة، أو دفع مبلغ مالي لناشر خاص، وكان عددهم محدودًا.

لم تعجبني فكرة "انتظار الدور" الحكومية، ولا "دفع نقود" لناشر خاص، لأنه من العبث بعد تعب سنين أن أتوسل لناشر كي يطبع كتابي الأول وأدفع له بدلًا من أن يدفع لي.

أصبت بإحباط شديد، فوضعت نصوصي رغم فوزها في كذا مسابقة، على ملف في الكمبيوتر (بدايات ظهور الكمبيوتر) وتركتها للنسيان. ثم تضاعف إحباطي مع صعوبة البحث عن عمل بعد انتهاء الدراسة وأداء الخدمة الوطنية.

الحياة ليست وردية. ولن تكون وردية على ما يبدو.. لذلك اتخذتُ قرارًا بالانسحاب والتوقف عن القراءة والكتابة والمشاركة في الجوائز. كان قراري تعبيرًا عن هشاشة ومشاعر عدمية تجاه الوجود.

استمرت هذه الحالة معي لأكثر من ست سنوات، كنتُ حينها قد سافرتُ إلى الكويت وتحسنت أحوالي نسبيًا، فبتُ قادرًا على إخراج مجموعتي الأولى من قبرها ونشرها لدى ناشر خاص، لكنني رفضت أن أفعل ما لم أقبل فعله قبل سبع سنوات.

فعرضت عليّ أم أولادي أن تتولى دفع المبلغ، وبالاتفاق مع الصديق الفنان التشكيلي مجاهد العزب الذي صمم غلاف مجموعتي الأولى "إصبع يمشي وحده".. وبالفعل صدرت عن ناشر خاص عام ٢٠٠٦ متأخرة عن ميعادها قرابة عشر سنوات.

لم يكن هذا حدثًا مبهجًا لي.. لأنها نصوص بدايات لم تعد تمثلني تمامًا.. ولأنني لم تتح لي فرصة مراجعة "البروفات" وتصحيح الأخطاء اللغوية، الكثيرة نسبيًا.

ولا أظن أن أحدًا يتذكرها الآن غير كاتبها. فلأنني لا أملك "فيسبوك" وقتها، ولا علاقات مع صفحات أدبية، ولا مع صحافيين.. صدرت المجموعة في صمت تام.. خرجتْ من القبر الضيق داخل الكمبيوتر إلى القبر الواسع في العالم العربي.

(*): كاتب وصحفي من مصر.

خطوة على طريق النشر

كتاب قناص الرقمي

eBooK
2024 (1)